من يرني يمت

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: من يرني يمت

اسم المؤلف: أحمد جبالية

التدقيق اللغوي: أمل خليل

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٥٦٩٧ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٤١٠-٤-٢




ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية


01020439639


massar.pub1@gmail.com

من يرني يمت



أحمد جبالية



إهداء

إلى روح أمي العزيزة وأبي سندي في الحيــاة وزوجتي الغالية وأولادي نور حياتي.

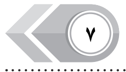
"من يرني يمت"

هذه الجملة نُقِشَت على جميع جدران الغرفة بجميع لغات العالم، تتوسط هذه النقوش على الجدار الأيمن صورةٌ لرجلٍ غزا الشيب رأسه، يرتدي بزةً سمراء أسفلها مكتب، قابعةٌ فوقه بعضٌ الأنابيب الكيميائية والأوراق.

في منتصف الغرفة توجد دائرة بداخلها نجمة خماسية وُضِعَت على كل رأس من هذه النجمة شمعةٌ مشتعلةٌ شارفت على الانتهاء، وفي يسار الغرفة أريكةٌ عليها كتاب مفتوح، وورقة صفراء عليها رسومات وحروف غريبة.

بمحاذاة الأريكة جثةٌ في بركة دماءٍ لشخصٍ على وجهه أعتى علامات الفزع، كأنه رأى الموت مئة مرةٍ قبل أنْ يموت، كانت الجثة مقطعةَ الأوصال ومبقورة البطن بلا أذنٍ، مجدوعة الأنف، والعينان منزوعتان من محجريهما، اللسان ملقى على الأرض وكأن أحدهم سحبه منه وهو على قيد الحياة.

بجوار الجثة كان مدير المباحث يجلس القرفصاء وهو ينظر إلى الجثة بعينين ثاقبتين متسائلتين مشمئزتين:



– من يستطيع أن يفعل شيئًا كهذا؟! هذا انتقامٌ وليس قتلًا.

غمغم مع نفسه.

– مررت على جرائمٍ كثيرة في حياتي، ولم أرَ مثل هذا.

انتصب مدير المباحث واقفًا يتجول ويتفحص محتويات الغرفة، بينما فريق المعمل الجنائي المكون من رجلين أحدهما نحيفٌ، والثاني يميل للبدانة يرفعان البصمات. خرج مدير المباحث من الغرفة ليستقبله بكاءُ وعواء ونحيبُ الزوجة المكلومة التي كانت منهارةً على أحد الكراسي.

انتظرها قليلًا حتى هدأت، وقال لها بنبرةٍ مواسية:

– هذا قضاء الله وقدره.

سحب كرسيًا وجلس عليه وأردفَ:

– أريدك أن تخبريني بما حدث بالتفصيل.

صمتت الزوجة كثيرًا، ثم وضعت يدها على جبينها وهزت رأسها كأنها لا تريد أن تتذكر ما حدث، وقالت من بين دموعها:

– كنت أطهو الطعام في المطبخ، وفجأة سمعت صوت صرخةٍ كادت أن تصم أذني، تلتها صرخات أفزع وأقوى، اقشعر بدني وهرولت إلى الغرفةِ أتعثر، أسقط وأنهض، حين وصلت للغرفة حاولت فتحها بما أوتيت من قوةٍ، ولكن دون جدوى؛ لأن زوجي يغلقها من الداخل

دائمًا، فأسرعت خارج الشقة.

خانتها عيناها فانهمرت منهما الدموع، سحبت منديلًا من علبةٍ بجوارها على المنضدة ومسحت دموعها وتابعت:

- أسرعت خارج الشقة، وما إن فتحت الباب حتى وجدت أمامي معظم سكان العمارة قالوا والهلع بادٍ بأعينهم: (ماذا حدث؟)، أخبرتهم بصوتٍ محشرج: (إن زوجي محتجزٌ داخل الغرفة)، اندفع الرجال للداخل وكسروا باب الغرفة، وعندما رأوا المشهد، منهم مَن تقيأ، ومنهم من أدار وجهه، أردت أن أدخل، فحاولوا منعي ولكني أصررت، ويا ليتني لم أدخل.

لم يقاطعها رئيس المباحث ولكن من حينٍ لآخر كان ينظر لعينيها، سَمْعَهُ معها، لكن عقله في وادٍ آخر تمامًا، فمن المحتمل أن تكون الزوجة هي من دبرت ورسمت وخططت لكل شيء، وما المانع؟ من السهولة أن تشتري كتابًا للسحر ثم ترسم النجمة الخماسية وتضع الشموع وتكتب النقوش، ومن ثم تغلق الباب بالمفتاح وعندما يأتي الجيران في غفلةٍ منهم تضع المفتاح في ثقب الباب من الداخل؛ لكي يظن الجميع أنه كان مغلقًا من الداخل!

وذلك لأنه -وبحكم عمله- كان يرى جرائمَ كثيرة من هذا النوع، وبعد الفحص والتفتيش يتضح أن الزوجة هي القاتلة.

دس يده في جيبه وأخرج علبة السجائر وانتزع واحدةً ووضعها في فمهِ وأخذ نفسًا عميقًا، ثم زفره بقوةٍ وتأهب ليلقي كلمةً في وجه الزوجة أو قنبلة بالمعنى الأدق.

- لماذا قتلتِ زوجك؟

قبل أن ينطق، أتاه الرد من داخل الغرفة، فقد سمع صرخةً مدويةً هزت أرجاء الشقة!!!

بقفزةٍ واحدةٍ كان داخل الغرفة، فإذا به يرى الرجل النحيف من فريق المعمل الجنائي فُعل به كما فُعل بالجثة السابقة! كادت عيناه أن تخرج من محجريهما فزعًا، وقال بصوتٍ جهوريٍ يتخلله الرعب:

- ماذا حدث؟

أجابه الرجل البدين وجسده يرتعش:

- أثناء رفع البصمات وجدنا هذه النظارة تحت الأريكة.

وأشار بيده تجاهها.

صوب مدير المباحث نظره عليها، كانت نظارةً غريبةَ الشكلِ، بها ثلاث عدسات سميكة أمام بعضهم البعض، الواحدة تبعد عن الأخرى نصف سنتيمتر، كل عدسةٍ بها زرٌ متاح له الصعود والهبوط، فوقها ثلاث أنابيب بألوانٍ مختلفة: أحمر، أبيض، وأسود.

ما إن رآها صديقنا حتى انتابه الفضول لارتدائها، بمجرد أن وضعها على وجهه صرخ كمن فُتح أمامه بابٌ من أبواب الجحيم، وفي أقل من ثانيةٍ حدث ما حدث.

قال مدير المباحث بلهجةٍ محذرة:

- تابعوا عملكم، ولا تقربوا هذه النظارة حتى نعرف سرها.

وتوجه لزوجة القتيل، وسألها عن النظارة، فقالت له بدهشةٍ:

- لم أدخل هذه الغرفة قط إلَّا أثناء وقوع الجريمة، ولا أعرف أي شيءٍ بداخلها؛ لأن زوجي كان دائمًا يحذرني من دخولها.

عاد رئيس المباحث خالي الوفاض، وراح يتأمل النظارة من جديد، يريد أن يسبر غورها، فهل هي السبب في القتل؟ هل من يرتديها يموت؟

ولماذا يموت؟ وماذا شاهد من ارتداها؟! هل هي ملعونة؟

تمتم مع نفسه:

- "أدفع نصف عمري، لأعرف ما سرك أيتها الملعونة"!

قطع حبل تفكيره صوت الرجل البدين قائلًا:

- لقد وجدنا هذه الورقة في جيب بنطال القتيل.

التقطها مدير المباحث وفضها، وراح يقرأ ما فيها.

"اليوم: الأربعاء.

التاريخ: ١٩٨٠\٥\٢٥

الساعة: الثامنة مساءً.

اليوم سينقشع الحاجز الذي بيننا وبينهم، سنراهم كما نرى أصدقاءنا، نتحدث معهم ويتحدثون معنا، نعلم وصفهم وأشكالهم وملامحهم، مرت سنوات وأنا أنتظر هذه اللحظة، أعمل وأجتهد ليلًا ونهارًا، كاد النوم أن ينسى ملامح وجهي، وللأسف فشلت مئات المرات، وفي ذاك اليوم بالأخص، وتلك الساعة بالتحديد استطعت أن أتوصل للطريقة التي تجعلني أُحضِّر الجن وأراه، وسيصبح بإمكان أي شخص أن يرى الجن على صورته الحقيقية، ويعلم إن كان في منزله سكانٌ آخرون، دون مشقةٍ ودون تعاويذٍ وطلاسم، ودون إحضار شيوخ، والأمر الآن أصبح ليس حكرًا على لسحرة وأصحاب الكرامات.

وكل هذا بفضل تلك النظارة التي ابتكرتها، فبعد أن قرأت الكثير وتعلمت كيفية تحضير الجن يتبقى لي فقط أن أجري تجربةَ ارتدائها بعد استحضار أحدهم".

كانت علامات الفزع باديةً على وجه مدير المباحث وهو يقرأ، وهنا فقط ظهرت له الحقيقة جليةً واضحة، فمن قام بالجريمة ليس بشرًا، إنما هو جن، جنٌّ يقتل من يراه، أو بالمعنى الأدق يقتل من يرتديها

(النظارة)؛ لأنه سيراه.

- ما المكتوب بها؟

سألته زوجة القتيل بفضولٍ وهي تنهض، وكان فريق المعمل الجنائي أيضًا ينتظر الإجابةَ.

طوى الورقة وأحنى رأسه للأسفل، وتنهد ثم قال:

- زوجك كان يريد أن يراهم.

أشارت الزوجة بيدها دلالةً على عدم الفهم وقالت:

- من؟

- الجن.

انتفض جسد الزوجة من وقع هذه الكلمة، وارتسم الرعب والخوف على قسمات وجهها ووجه رجل المعمل الجنائي أيضًا.

قالت الزوجة بنبرةٍ خائفة:

- لن أجلس هنا دقيقةً واحدة.

فردَّ مدير المباحث:

- بالطبع، فوجودك هنا يعرضك للخطر.

قالت الزوجة وهي تتجه لغرفة النوم لكي تُحضر حقيبة ملابسها:

– سأذهب عند أمي.

قال رئيس المباحث:

– رغم أن هذا ليس عملي، لكني سأحضر غدًا صديقًا بارعًا لي في الماورائيات وله باعٌ في التعامل مع العالم الآخر.

وطلب من الزوجة مِفتاح الشقة، ولم تتردد الزوجة دقيقةً واحدة، فأعطته إياه بسهولة.

في ذاك الوقت سمعوا زئيرًا كاد أن يصم آذانهم، وَجُمُدَ الدمُ في عروقهم كأن ذاك الكيان يخبرهم بشيء، في حين جاءت سيارة الإسعاف وحملت الجثتين، وانتهوا جميعًا وغادروا الشقة مسرعين.

في صباح اليوم التالي يجلس مدير المباحث خلف مكتبه الذي تسلل خيطٌ من أشعة الشمس إليه، ضغط على زرٍ أمامه، فحضر الساعي، طلب منه كوبًا من القهوة السادة، ثم أخرجَ هاتفه وطلب رقمًا، وجد ذاك الرقم مشغولًا فحاول الاتصال مرةً أخرى.

– ألو.

– السلام عليكم.

– وعليكم السلام.

– كيف حالك ياشيخ محمد؟

– تمام.

– الحمد لله.

– أعلم أنني مشغول عنك هذه الفترة.

– أنا أعرف مشاغلك جيدًا، كان الله في معيتك، فمهنتك صعبة وأنا مقدرٌ لهذا، كان الله في العون.

– سلمتَ يا شيخ محمد، أريدك في موضوع مهم.

هنا طرق الساعي الباب ووضع القهوة أمامه

وانصرف.

– تكلم. (قالها الشيخ محمد، وأكملَ).

– كلي آذانٌ صاغية.

– لا لا، فمثل هذه الأشياء لا تُحكىَ في الهاتف، أريد أن نحتسي كوبًا من الشاي معًا في منزلي.

– أقلقتني.

– لا أخفي عليك، فنعم.. هو شيء مقلق.

– إذًا فلنلتقِ بعد صلاة العصر، ستجدني عندك إن شاء الله.

– إن شاء الله، أنا في انتظارك، مع السلامة.

- في رعاية الله.

أغلق سماعة الهاتف وأخذ سيجارةً من علبةٍ قابعةٍ على مكتبه وأشعلها، سحب نفسًا وزفره ثم أخذ رشفةً من فنجان القهوة.

بعد صلاة العصرِ وقف الشيخ محمد أمام شقة مدير المباحث وضغط على زر الجرس.

عند سماعك لكلمة (شيخ) سيتبادر إلى ذهنك الجلباب الأبيض القصير، واللحية والسبحة، لكن الشيخ محمد كان يرتدي حلةً فاخرة منمقة، حليق الذقنِ، مصفف الشعرِ، تفوح منه رائحةٌ طيبة، شارف على إتمام الخمسين عامًا.

فتح له مدير المباحث وبعد ترحيبٍ وسلامات أجلسه على الأريكة، وأمر زوجته أن تحضر لهما كوبين منَ الشاي، هو يعلم أنه لا يحب إلَّا الشاي.

سرد له كل ما دار أمس في شقةِ القتيل، وفي النهاية اتفقا على أن يذهبا بعد صلاة العشاء إلى منزل القتيل..

دخل مدير المباحث ليأخذ قيلولةً؛ لأنه يعلم أن هذا اليوم سيكون مرهِقًا وبه مفاجآت كثيرة، لكنه لم يلبث أن استيقظ على صراخ زوجته، هو يعلم بما حدث قبل أن يخرج ليراه، ولكنه كان يكذب نفسه، خرج ليجد زوجته جثةً هامدة! ولكن يبدو أن القاتل كان رحيمًا؛ لكونها امرأة

فقد جردها من ملابسها وشقها نصفين وحسب!

النقوش نفسها تزين الحائط (من يراني يموت)، جلس إلى جوارها في حزنٍ ويأسٍ وشعورٍ بالذنب، فهو يشعر أنه السبب وراء ما جرى لها، لكنه الفضول يا عزيزي، يريد أن يضمها إلى صدره، ولكن كيف؟! وأي جزءٍ منها يضمه؟!

شعورٌ مؤسف أن ترى شريك حياتك مقتولًا بهذه البشاعة ولا تستطيع أن تفعل شيئًا، تشعر بالعجز وقلة الحيلة، فأنت أضعف من أن تواجه قوى لا تعلم عنها شيئًا..

كل ما يمكنك فعله هو البكاء والنحيب، وحتى البكاء والنحيب لن يعيدوه.

مال برأسه ووضعه على صدرها وانتابته نوبة بكاءٍ عارمةٍ وامتزجت دموعه الغزيرة بدمائها، هنا رأى تلك النظارة الملعونة، أمسكها بيده وأطاح بها بكل عزمِه؛ لتصطدم بالحائط وتسقط على الأرض.

في اللحظة نفسها سمع صوتًا وكأن سيخًا حديديًا مشتعلًا يوضع في الماء، فنظر لجثة زوجته؛ ليجد كلمةً تُكتب على يدها، والدخان يتصاعد منها (ابتعد).

- لـــمـــــاذا!!!!!!!!؟

صرخ صرخةً مدويةً كمن لم يصرخ من قبل.

- لماذا زوجتي؟ لم تفعل شيئًا، هي لم تؤذِكَ، إذا أردت أن تعاقب عاقبني أنا.

صمت وراح يأخذ نفسًا ويزفره بقوةٍ عدة مرات، ثم صاح بأعلى ما فيه:

- اظهر لي يا ابن الملعونة، أرني وجهك القبيح، سأنتقم منك أشد الانتقام.

هنا سمع قهقهاتٍ كأنها آتيةٌ من قاع الجحيم، ظلت تعلو وتعلو، حينها جلس على ركبتيه واضعًا يده على أذنيه؛ كي لا يصيبه الصمم، وراح يسمع صوت تهشم كل الموجودات في الشقة، خَفُتَ صوت القهقهة رويدًا رويدًا، ثم تجسد أمامه أبشع كائنٍ يمكن أن تراه عيناك.

نظر إليه مدير المباحث مشدوهًا يرتعشُ هلعًا، فبادره الكيان البشع قائلًا:

- سأغير قواعد اللعبة معك أيها البشري.

يريد مدير المباحث أن يتكلم، ولكن صوته يأبى أن يخرج من حنجرته.

وأضاف الكيان البشع:

– (من يَرَني يمت)، ولكني لن أقتلك، سأجعلك تتمنى الموت؛ لأنه سيكون دواءك.

أشار الكيان البشع للأرض، وبحركةٍ سنيمائية رفع يده، فانبثقت من أرض الشقة وحوش على شَكل ثعابينَ لها رؤوس ذئابٍ أنيابها تقطر دمًا، ممسكةً برماحٍ في يدها، تقدمت الوحوش وراحت تغرزٍ رماحها في جسدِه وهو ينتفضُ ويتلوى ويئن من الألم.

– زوجي العزيز، استيقظ.

(قالتها الزوجة وهي تلكزه بيدها)

انتفض كمن أمسك سلكًا كهربائيًا عاريًا، وكان العرق ينهمر من وجهه وقد ابتلت ملابسه، والسرير أيضًا، أول ما فعله أن طوَّق زوجته بذراعيهِ وطبع على جبينها قبلةً، فقد شعر بالخوف عليها، شعر بقيمتها وأهمية وجودها بعد ذلك الكابوس المروع.

اعتلت علامات الدهشة والاستغراب وجه الزوجة، وقالت:

– ما بك يا زوجي العزيز؟

– لا عليكِ يا حبيبتي، لا شيء، كنت مرهقًا فحسب.

الزوجة بعد أن قبلته:

– سمعت هاتفك يدق منذ دقائق، ظننت أنه سيوقظك.

وناولته إياه.

نظر مدير المباحث ليجد أكثر من خمس مكالمات لم يتم الرد عليها من الشيخ محمد، فهاتفه وأخبره أنه لم يسمع الهاتف ليرد عليه الشيخ محمد أنه باقٍ على أذان المغرب نصف ساعة وسوف يصلي وينتظره.

قام من على السرير واتجه إلى الحمام، وترك الماء ينساب على جسده، انتهى وارتدى ملابسه التي أحضرتها له الزوجة وصفف شعره ولا مانع من رشة عطرٍ غالي الثمن.

في السيارة حكى مدير المباحث بنبرةٍ يشوبها الخوف للشيخ محمد عن الكابوس الذي راوده،

فابتسم الشيخ محمد وقال:

– كنت أظن أن رجال الشرطة لا يهابون أي شيء.

قال مدير المباحث بصوتٍ جعل فيه بعض الشجاعة:

– نحن رأينا الموت مئات المرات، رأينا جثثًا بعدد حبات الرمال، منهم من شنق نفسه، ومنهم مَنْ ألقى نفسه من فوق برج، ومَنْ مات محروقًا، ومَنْ قتلته زوجته ووضعته في أكياس، تصور أَن تفتح باب الثلاجة بدلًا من أن تجد فاكهةً أو خضروات تجِد رأس إنسانٍ أو قدمين أو يدين أو أمعاء!!

أسندَ رأسه إلى مسند الكرسي، وظهر على وجهه الأسى، ثم تنهد وأردفَ:

– في إحدى المرات داهمنا منزل سفاح نساءٍ، ولكنه تمكن من الهرب، تخيل ماذا وجدنا بداخل المنزل؟

– ماذا وجدتم؟

– عندما دلفنا سمعنا صوت أنينٍ آتٍ من إحدى الغرف، فأمرتُهم بكسرها، لأرى مشهدًا اقشعر له بدني، ووددت لو أمسِك هذا السفاح لأذيقه جميع صنوف العذاب، ثلاث نساء مكبلات الأيدي عرايا كما ولدتهن أمهاتهن مقطوعة أثدائهن.

ثم صوَّب نظره نحو الشيخ محمد، وقال:

– رأينا الكثير والكثير، ولكن عالم الجن لم نقتحمه، فهو عالمٌ غير مرئي، ودائمًا يخاف الإنسان من الأشياء التي لا يراها، نخاف من الموتِ؛ لأننا لا نراه، ونخاف من المستقبل لأننا لا نراه.

قال الشيخ محمد مازحًا كي يغير دفة الحديثِ:

– طالما أنا معك، لا تخَف حتى من إبليس.

فابتسم مدير المباحث.

وقفت السيارة أمام منزل القتيل، فترجل منها الشيخ محمد ريثما

يصفها مدير المباحث بجوار الرصيف. صعدوا السلالم وكان مدير المباحث جسده يرتجف ارتجافًا حاول أن يخفيه.

لا يريد أن يُقحم نفسه في أشياءٍ كهذه، ولكنه مطمئنٌ لأن بجواره الشيخ محمد، وهو في قرارةِ نفسهِ يعلم جيدًا مَن هو الشيخ محمد.

وضع المفتاح في ثقب الباب وأداره؛ فانفتح الباب، دخلوا مباشرةً إلى الغرفة المنشودة، وأشار مدير المباحث ناحية النظارة وقال:

– هذه هي النظارة الملعونة.

خطى الشيخ محمد فالتقطها وخرجا إلى الصالة، ثم جلسا على الأريكة.

راح الشيخ محمد يقلب في النظارة وقال:

– لابد أن أخبرك بما سأفعله لكي أعلم هل ستبقى معي أم ستذهب وتنتظرني في السيارة.

قال مدير المباحث:

– معك لن أذهب.

فردَّ الشيخ محمد:

– سأرتدي النظارة.

بصوتٍ مرتبكٍ قال مدير المباحث:

- لن أتركك تفعل ذلك.

ضمَّ الشيخ محمد أصابع يده اليمنى الخمسة، وهز يده لمدير المباحث قائلًا:

- تمهل وتريث، أولًا: ليست النظارة في ذاتها مشكلةً، المشكلة ما يظهر عند ارتدائها، وأهم شيءٍ عندي أن أتخلص منه؛ لأننا لو تركناه سيعيث في الأرض فسادًا، وبعدها ننظر في أمر النظارة. ثانيًا: لن أرتديها إلَّا بعد أن أحضر جنًا من أتباعي يُدعى أبو محرز الأحمر زعيم أحد قبائل الجن المسلمة، ومادام الجن القابع هنا قتل فمن المؤكد أنه غير مسلم؛ لأن الجن المسلم لا يقتل؛ بل مسالم، وأبا محرز الأحمر كان في صراع مع قبيلةٍ من الجن الكافر استمرت أكثر من عشر سنوات، كانوا يذبحونً أبناءهم ويستبيحون نساءهم حتى نصرهم الله، وما يزال أبو محرز الأحمر يضمر لهم البغضاء، صدقني يا عزيزي سيفتك بالملعون الساكن هنا، ثق بي

هز مدير المباحث رأسه وقال:

- أنا أثق بك.

أغمض الشيخ محمد عينيه وأخذ يقرأ سورة الفاتحة، ثم سورة الإخلاص أكثر من مئة مرة وراح يقول:

- بسم كنز العظيم.

ثم تمتم بكلماتٍ وتعاويذٍ لم يفهمها مدير المباحث، صوته يعلو بعض الوقت ويهبط بعض الوقت، وفي النهاية قال:

- بسم الله الأكبر، احضر يا أبا محرز الأحمر بهيأتك البشرية.

اضطربت الأنوار، ثم انطفأت، واهتزت كل الموجودات كأن زلزالًا ضربها وظهرت كتلةٌ من الطيف بألوان السماء، ثم انقشعت مخلِّفةً مكانها تجسيدًا لرجلٍ لم يرَهُ مدير المباحث جيدًا؛ بسبب قلة الإضاءة، ولكن عندما عادت الأنوار رأى رجلًا غاية في الجمال تبدو على وجهه أمارات الهيبة والقوة، يرتدي قلنسوةً فوق رأسِهِ من الحديد وزيًا حربيًا كله باللون الأحمر فعرفت وقتها لماذا سُمِّيَ بالأحمر.

طوله متران ونصف، عريض المنكبين تكاد عضلات يده تمزق الملابس، قال بنبرةٍ قويةٍ غليظةٍ:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صُعِقَ مدير المباحث من قوة الصوت وفكر في الفرار، ولكنه تماسَك.

نطق الاثنان معًا:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قال أبو محرز :

- فيمَ تريدني يا شيخي محمد؟

قال الشيخ محمد وهو يبتسم:

- أحد أصدقائك هنا.

كانت طريقة كلامهم تشعرُكَ أنهم أصدقاء منذ فترةٍ ليست بالقليلةِ، انفرجت أسارير أبي محرز بظفرٍ كفهدٍ وجد فريسةً مقيدةً أمامه وقال:

- أين؟

- أنا لا أرى شيئًا.

قال الشيخ محمد:

- عندما أرتدي هذه النظارة سيحضر.

وما إن ارتداها حتى اختفى أبو محرز، ثم شهق الشيخ محمد شهقةً، فلاحظ مدير المباحث انتصاب شعر رأسه، ورعشةٌ سرت في جسدِهِ فعلم أن المعركةَ قد بدأت.

خيَّمَ الصمتُ والخوفُ والقلقُ على الجلسة إلَّا من انتفاضاتٍ كانت تنتاب جسد الشيخ محمد من آنٍ لآخر.

مرت حوالي نصف ساعة، خلع الشيخ محمد النظارة، وفي الوقت نفسه ظهر أبو محرز على هيئته البشرية مصابًا في يده اليمنى، ويبدو أثر القتال على ملابسهِ.

قال أبو محرز بغضبٍ:

- فرَّ ابن اللعينة.

رد عليه الشيخ محمد:

- المهم أنه لن يعود مرةً أخرى بعدما فعلته به.

قال أبو محرز وقد تزايد غضبه:

- لو عاد سأنتقم منه أشد انتقامٍ.

استأذن أبو محرز من الشيخ محمد، واختفى كما ظهر، ثم نظر الشيخ محمد لمدير المباحث وقال:

- من المؤكد أنك تريد أن تعرف ما حدث.

ابتسم مدير المباحث من طرف فمه وقال:

- بالطبع، لديَّ فضولٌ شديد، احكِ لي وبأدق التفاصيل.

قال الشيخ محمد:

- عندما ارتديت النظارة حضر كيانٌ بشعٌ كاد أن ينقضَّ عليَّ، ولكن أبو محرز تدخل في الوقت المناسب، فأمسكه من رقبته وألقاه أرضًا كالمصارعين، وقف ذاك الكيان وقال لأبي محرز: (أنت لا تعلم مع مَن تلهو، أنا شرقان بن معدن). فنظر له أبو محرز بسخريةٍ، وقال: (أنا لن

ألهو معكَ، أنا سألهو بك). فزمجر شرقان بن معدن وهجم على أبي محرز، ولكن الأخير كان مستعدًا فكوَّرَ قبضته وسدد له لكمةً أسقطته أرضًا، ودارت بينهم معركةٌ شعواء، وفي النهاية فرَّ شرقان بن معدن بعد أن فقأت عينه.

ابتسم مدير المباحث بارتياح؛ لأن العبء الثقيل الذي كان على عاتقه انزاح، فهاتفَ زوجة القتيل وأخبرها أن الأمور أصبحت على ما يرام، لكن الزوجة أصرت على أنها ستبيع تلك الشقة.

عاد مدير المباحث إلى منزلِهِ، وأخذ الشيخ محمد النظارة ووضعها عنده في المنزل في مكانٍ لن يستطيع أحدٌ العثور عليها، انتهى الفيلم وكُتب على الشاشة:

"هذا الفيلم مقتبسٌ من قصةٍ حقيقةٍ حدثت في قرية (أبو بركة) وهذه أسماء وصور الأشخاص الحقيقين".

– لقد كان فيلمًا رائعًا فكرته جديدة، أحب هذه النوعية من الأفلام.

قالها عماد الذي كان يجلس على المقعد مرتديًا بنطالًا من الجينز، وقميصًا أسودَ، فأكد على كلامِه ياسين الذي كان يجلس بجواره قائلًا:

– بالفعل، فكرةٌ جديدة لم أرَ مثلها، فأنا أكره الأفلام التي تكررت فكرتها مئات المرات، مثل الأفلام العربية ذاك السيناريو المتكرر، البطل يحب البطلة ثم يفترقانِ في المنتصف، ثم يعودانِ لبعضهما البعض في

النهاية، إنه شيءٌ يبعث على السأم.

في ذاك الوقت تدخلت أنا وقلت:

- معك حقٌ يا ياسين.

ووجهت كلامي لعماد قائلًا:

- ما رأيك؟ ألم أخبرك أن هذا الفيلم سيعجبك، فأنا أعرف الأفلام التي تستهويك.

عدل عماد من وضع نظارته الطبية وابتسم وكأنه سيلقي مزحةً وقال:

- ولكني لاحظت أن الخوف انتابك عندما رأيت شرقان بن معدن في حلم مدير المباحث.

ضحكتُ بصوتٍ مرتفعٍ قليلًا وقلت:

- لن أنكر أن شكله مرعبٌ.

فتدخل ياسين بعد أن حك ذقنه الحليقة التي تزين وجهًا مستديرًا يعلوه شعرٌ مجعدٌ قليلًا قائلًا:

- ولكنك قلت إنك لا تؤمن بوجود الجن والعفاريت!

قلت مسرعًا:

- من لا يؤمن بوجود الجن والعفاريت، فهو كافرٌ، فهم مذكورونَ

في القرآنِ والسنة كقول الله تعالى: {قُل أوحي إليَّ أنه استمع نفرٌ من الجن} سورة الجن، فأنا أؤمن بوجودهم، ولكن لا أؤمن بالوجود المادي لهم.

سأل ياسين مستفسرًا:

- كيف؟

ابتسمتُ بسخريةٍ، وأكملت..

- يأتي أحدهم ويقول: (لقد صفعني جني، لقد شاهدت جنيًا، لقد ذهبت لعالم الجن وهذا ملبوسٌ، وذاك تزوج جنّية)، كل هذا كلامٌ فارغ.

قال ياسين بنبرة الواثق:

- ولكني رأيت جنيةً بالفعلِ وأنا صغير.

وراح يحكي:

- كنت أسيرُ مع أمي الساعة الحادية عشرة مساءً، فرأيت امرأةً عجوز على مسافةٍ بعيدةٍ، لم أعرف لماذا انقبض قلبي عند رؤيتها، كانت متغضنة الوجه، تجلس على سور منزلٍ، متشحةً بالسواد، وعندما دققت النظر فيها اختفت وكأنها تبخرت، أخبرت أمي ولكنها طمأنتني، أنا أعرف جيدًا أنها لا تريد أن تفزعني وتخبرني أنها جنّية، ولكني كنت متأكدًا وسايرتها كي لا تقول إني أخاف. فأخبرني كيف تجلس امرأةٌ عجوزٌ على سورٍ طوله ثلاثة أمتار؟ وكيف اختفت؟ إلَّا إذا كانت جنّيةً.

وقال عماد بثقةٍ:

- أنا أيضًا رأيت..

فقاطعته وقلت:

- قبل أن تحكي، سأروي لكَ قصةً حدثت معي.

عندما كان منزلنا هذا طابقًا واحدًا وبدون سور، وكانت تحوطه الزراعة من كل مكان، أتت أختي في الواحدة ليلًا وجلست على طرف سقف المنزل وتدلت قدماها تتأرجح. مر رجلٌ فلاح من الشارع الذي أمام منزلنا ورأى أختي فظنها عفريتًا، مال بجسده على الأرض، وبيدٍ مرتعشةٍ وقلبٍ يخفق بقوةٍ أمسك حجارة وراح يقذفها بها ويقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، ظنًا منه أنها عفريت، انفجرنا جميعًا في الضحك، وتابعت وأنا مستمرٌ في الضحك قائلًا أن هذا الرجل سيذهب إلى منزله ويخبر زوجته وأولاده، ومن المحتمل أن يخبر البلد كلها أنه رأى عفريتًا فوق منزلنا.

نظر عماد في ساعته التي تطوِّق يدًا بيضاء كالأجانب وقال:

- الساعة الآن اقتربت على الثانية عشرة ليلًا سأضطر للذهاب فلديَّ عمل صباحًا.

قام ياسين هو الآخر وتبادلنا السلامات.

اسمي آدم، مدير شركة الفهد للاستيراد والتصدير، مهتمُ جدًا بعلوم الماورائيات، لديَّ صفحة على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، أنشر عليها أكاذيب وخرافات الخوارق، أبلغ من العمر سبع وعشرون ربيعًا، أعيش في هذا المنزل المكون من ثلاثة طوابق، الطابق الأول: قبوٌ نضع به الأشياء الزائدة عن حاجتنا، ربما نحتاجها في وقتٍ لاحق، والأشياء المستعملة غير المرغوب بها، والطابق الثاني: تقبع به أمي (ست الحبايب) وأختي الصغيرة، أمَّا الطابق الثالث: فهو مملكتي التي لا ينازعني فيها أحدٌ، حتى الآن، فعندما أتزوج لن تصبح مملكةً ستتحول بقدرة قادرٍ إلى محكمةٍ لفض النزاعات بين الأطفال من أمثلة: يا بابا أخي بدل قناة الكرتون!، يا بابا أختي أخذت مني قلمي!، يا بابا أخي صفعني منذ ثلاث شهور وتذكرت الآن!

أجلس الآن في غرفة نومي، إذا نظرت ستجد دولابًا في الأمام، وعلى اليسار تسريحة، وعلى اليمين سريرٌ يستريح بجواره مكتبٌ يقبع فوقه جهاز الحاسوب وخلفه منضدة.

يقولون كما علمت أنني لا أؤمن بوجود الجن، أو بالمعنى الأدق لا أؤمن بالخوارق الصادرة من الجن، مثل تجسد الجن في هيئة بشر، أو مس الجن للإنسان، أو تحريك الأشياء من قبل الجن إلخ..

عندما كنت صغيرًا كانت ترسلني أمي لأبتاع أشياءَ من المتجر

القريب من منزلنا ليلًا، وكان بيتنا في منطقةٍ منعزلةٍ عن باقي القرية.

صدقني إن قلت لكَ أن أصعب موقفٍ سيمر عليك ليس الزواج ولا بناء أسرةٍ ولا مشقة العمل، الأصعب حقًا أن تكون طفلًا ويرسلك أحدُ والديكَ لشراء الحاجيات ليلًا، والطريق يحفه الظلام من جميع الاتجاهات، وأنت لا تملك رفاهية الرفض.

كنت أسير في الشارع والظلام يغلف كل شيء، السماء قطعةُ قماش سوداء، اختفت النجوم والقمر كأنهم اتفقوا ليزيدوا من معاناتي، الأفكار تنهش عقلي، هل سيظهر لي (أبو رجل مسلوخة)؟ أو (أمنا الغولة)؟ أو (النداهة) أو (الأشكيف)؟ ولا تسألني ما معنى (الأشكيف) لأني إلى وقتنا هذا لا أعرف!

كل خطوةٍ كان يزيد معها إيقاع خفقان قلبي، حتى أنني كنت أكاد أشعر أنه سيقفز من حلقي ليخبرني أنه أيضًا خائف.

أذهب وأعود، وكل يوم يتكرر هذا السيناريو، حتى كبرت قليلًا، كنت أظن أن مخافي ستنتهي أو تقل، لكنها كبرت معي! كنت إذا شاهدت فيلمًا مرعبًا أظل أتذكر وجه العفريت ليلًا ونهارًا.

وخصوصا عندما أستحم وأغلق عينيّ؛ كي لا يدخل بهما الصابون، تحدثني الهواجس أن العفريت منتظرٌ حتى أفتح عينيّ؛ لكي ينقضَّ عليَّ ويلتهمني.

وعندما أنسى أو أتناسى يعود عقلي ويخرج لي لسانه ويقول لي:

– العفريت كان شكله بشعًا.

تبًا لعقلي، يذكرني دائمًا بأسوأ كوابيسي ولا يذكرني بالسيدات الحسناوات أو المواقف الجميلة التي مررت بها.

أمّا المشهد الأكثر رعبا هو عندما كانت تأخذ أمي أختي الصغيرة وتقرر الذهاب لمنزل جدتي إذا مرضت، وتبيت عندها وأجلس أنا بمفردي في المنزل، ما إن أضع رأسي على الوسادة حتى يتقمص عقلي شخصية كُتَّاب قصص الرعب مثل: ألفريد هيتشكوك، ولافاكرافت، ويظل ينسج القصص والروايات المرعبة وأنا أنتظر، هل سيخرج العفريت من الدولاب، أم من مرآة التسريحة، أم مِن أسفل السرير؟

هل ستتكلم هذه الدمية القابعة فوق المكتبة؟

هل سأذهب للحمام ليلًا وأجد أحد الوحوش جالسًا على مقعد الحمام يقضي حاجته؟

المهم أن يمر اليوم بسلام، ولا يحدث أي شيء ولا أعرف هل العفاريت والجن لا يعرفون طَريقي أم ماذا؟ الغريبة أنني كلما جلست مع أحد أصدقائي يقسم لي أنه رأى عفريتًا، فالسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا أنا بالأخص لم تظهر لي العفاريت طيلة حياتي؟ هل لأنهم يعرفون أنني أخاف من خيالي؟ هل يخافون أن تباغتني سكتةٌ قلبية من

رؤية أحدهم فأموت في الحال؟ كيف والعفاريت تعشق الشر والقتل والدماء!

منذ ذاك الوقت قررت أنني لن أخاف إلَّا من الأشياء التي أراها وحسب.

وبعد ذلك بحثت كثيرًا على الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي عن أدلةٍ عن عدم قدرة الجن على إيذاء البشر أو تلبسهم أو أشياء من هذا القبيل، الغريبة أنني وجدت مئات الأدلة التي تثبت أفكاري.

دق هاتفي فأخرجته من جيبي رأيت رقم صفاء ابنة عمي فلم أرد؛ لأنني أعلم ما ستقوله.

ستخبرني بأشياءٍ تافهةٍ في العمل؛ فهي تعمل سكرتيرة بالشركة معي.

الغرض ليس الكلام عن العمل، ولكن هذا أفضل طريقٍ تفتح به موضوعًا لتتحدث معي، ومن ثم تخبرني عن حبها لي وغرامها وعشقها والخطّاب الذين يتقاتلون من أجلها، والغريب أنني أخبرتها مئات المرات أنني أحبها مثل أختي، ولكن لا حياة لمن تنادي.

دقَّ الهاتف مرةً أخرى، فقطبت ما بين حاجبيّ وزفرت بقوةٍ، سأرد عليها وأخبرها أنني مع أصدقائي.

وما إن رأيت رقم المتصل حتى تهللت أساريري فاحتضنت الهاتف

ثم قبَّلته، أود أن أشكر جراهام بيل (مخترع الهاتف) من كل قلبي؛ لأنه جعلنا نسمع صوت من نحب في أي وقتٍ نريد.

وضعت الهاتف على أذني لأسمع أرق وأجمل وأعذب صوتٍ سمعته في حياتي.

- ألو.

- نعم يا حبيبتي.

- اشتقتُ إليكَ فأردت الاطمئنان عليك.

- القلوب عند بعضها، فلو لم تهاتفينني لهاتفتكِ، أنتِ تعرفين جيدًا أنني لا أستطع أن أنام قبل أن أسمع صوتك.

- كل الشباب يقولون تلك الكلمات قبل الزواج، ولكن بعد الزواج تتبدل الكلمات.

- لا لا يا حبيبتي، أنا غيرهم، فأنا محظوظٌ أنكِ ستكونين معي، أعدكِ أن تكون كل أيامنا سعادة وحب، ولن أتفوَّه في يومٍ من الأيام بكلمةٍ تغضبكِ.

- وأنا أيضًا سعيدةٌ، فأنتَ إنسانٌ رائع وطيب القلب، وسأحاول بكل جهدي أن أجعلك أسعد رجلٍ على وجه الأرض، تصبح على خير يا صغيري، سأتركك لتنام فعندك عملٌ صباحًا.

- مع السلامة يا حبيبتي، تصبحين على خير.

سمعت أذناي صوت قبلةٍ آتيةٍ من الهاتف، فطبعتُ أنا الآخر مئة قبلةٍ على هاتفي.

نظرتُ إلى هاتفي فوجدت البطارية منخفضة، فوضعته على الشاحن وانتظرت حتى ملأ بطنه؛ فأخذته، ثم خطوت صوب الدولاب، أخرجت شورت وفانلة ومنشفة وذهبت للحمام؛ لكي آخذ حمَّامًا.

الحمام صغيرٌ بعض الشيء، نصفه العلوي مطلي باللون الأبيض، والأسفل بالسيراميك، يحتوي على حوض استحمامٍ ومرآة أسفلها حوضٌ لغسيل الوجه، ونافذة مستديرة تطل على المنور.

علقت ملابسي على المشجب، ومن ثم ملأت البانيو بالماء وصابون الاستحمام، وألقيت نفسي به بعد أن فتحت هاتفي وضغطت على مُشغل الموسيقى ليصدح بأغنيةٍ أحبها.

بالطبع ستسألني لماذا أسمع الأغاني في الحمام، إنها تجذب العفاريت، واحتمال كبير أن يتلبسني أحدهم، نعم أعرف!

فأنا في انتظارهم دائماً، أفعل ذلك عن قصد، والنتيجة دائماً: لم يحضر أحد!

خرجت من الحمام وخلفي طوفانٌ من البخار، كأنني المصارع

(أندرتيكر)، أمسكت بإحدى الروايات النائمة داخل المكتبة وأيقظتها من سباتها، قرأت بها قرابة النصف ساعة، ثم هاجمني النعاس فتوجهت إلى السرير بعد أن كتبت منشورًا على إحدى مواقع التواصل سؤالًا بسيطًا.

" نحن نعلم أن عقوبة من يمارس السحر الحرق حيًا، وهذا الكلام منذ قديم الأزل، ونعلم أيضًا أن الساحر لابد أن يكون له خادمٌ من الجن لكي يلبي له كل متطلباته، وأشهر مثال هم سحرة فرعون، حان وقت السؤال: لماذا لم يتدخل الجن وينقذوا السحرة من العذاب الذي كان يذيقهم فرعون؟ لماذا تركوا من فعلوا الطلاسم والتعاويذ لإحضارهم؟".

تركت الهاتف ونمت، وأثناء نومي رأيت كابوسًا بشعًا، كنت أقف أمام المرآةِ، وبالطبعِ أنتم تعلمون أن معظم البشر -أو كل البشر بالأصح- يخافون المرآةِ، وأنت أولهم أرجوك لا تكذب!

بعضهم يضع عليها ستارةً؛ لأنهم يقولون

إنه إن مات أحد قاطني المنزل في غرفةٍ بها مرآة، فإن روحه تسكن بها، والكثير من الحكايات والروايات والأساطير.

أحدق بالمرآة، أرى انعكاسي بها، ولكن لا أثر لأثاث الغرفة، أين ذهب؟ لا أعرف!!

يبدو أنني على موعدٍ مع كابوسٍ من كوابيس المرآة.

امتدت من المرآة يدٌ سمراء متفحمة كأنها خرجت من محرقةٍ للتو؛ لتقبض على رقبتي وترفعني عن الأرض.

اتسعت عيناي من الرعب، وأنا أحاول بكل جهدي أن أتملص منها، ولكن دون جدوى! سحبتني بداخلها. كنت أصرخ بأعلى صوتي حتى كادت أحبالي الصوتية أن تتمزق.

أفلتتني اليد؛ فسقطت في الظلامِ، ظلامٌ حالك لا ترى حتى راحة يدك، في ذاك الوقت أدركت أن للخَوف رائحةً. نعم، أنا أشم رائحة الخوف، أسمع صوت الخوف، باقٍ لي أن أراه.

صوت همهمات مقبضة تبعث الرعب في القلوب لا أكاد أتبينها حتى بدأت تعلو رويدًا رويدًا، لا أكاد أميزها، هذه تعاويذ أو ترانيم لا أعرف!

الكلمات غريبة على أذني لم أسمعها من قبل!ولكن الظلام مازال سيد الموقف.

سطع نور القمرِ وكأنه أراد أن يخبرني أنني لست بمفردي وأنه منقذي، ولكن "تأتِي الرياح بما لا تشتهي السفن"، فيا ليته ظل كامنًا في مخبئه.

فعلى نور القمر رأيت شواهد مقابرٍ متناثرة في كل مكان، والأرض رمليةٌ من تحتي، وخمس كيانات يجلسونَ التربيعة، يد كلٍ منهم ملتصقةٌ باليد الأخرى تحت ذقنه، لم أتبين ماهيتهم حتى الآنً؛ لأنهم يرتدون ملابس سوداء مهترئة تغطي رؤوسهم ووجوههم، وهناك حبلٌ معقودٌ على خصرهم، يلتفون حول جثةٍ، لا.. ليست جثة.

إنها تتلوى بالرغم من القيود الموثوقة بها، وهم بالطبع ليسوا بشرًا؛ لأنني لم أرَ إنسانًا بهذا الطول وهو جالسٌ!

واحدٌ منهم فقط كان طوله مثلنا، يمكن أن يكون ابن أحدهم!

أول ما فعلته عندما رأيتهم، أخذت شاهد قبرٍ ساترًا لي؛ لأراقبهم عن كثب.

لن أخبركم طبعًا بشعوري في تلك اللحظة؛ فأنتم تعلمون جيدًا ماذا يحدث في مثل هذه الأوقات.

مقابر وكيانات غامضة، وأصوات مرعبة، ورجل مقيد يتلوى، أنا في موقفٍ أُحسد عليه، ولكن يوجد شيءٌ واحد إيجابي، وهو أن هذه الكيانات لم تعلم بوجودي حتى الآن..

سحقًا!! لقد سمعوا أفكاري.

رفع أحدهم غطاء رأسه بيده،فظهر وجهٌ مثلثٌ بشعٌ دون أنفٍ،

يملك شفاه غليظة تظهر من خلفها أسنان مدببة، وله عينان بيضاوان، يبدو أنه زعيمهم؛ لأنه أطول منهم نسبيًا.

أشار بيده تجاهي، فحولوا نظرهم جميعًا إليَّ ورفعوا أغطية رؤوسهم، عدا الكيان القصير.

في الوقت نفسه رمقني الشخص المقيد.

إنها حبيبتي! ماذا أفعل؟! أهرب أم أنقذها؟

حتمًا سأنقذها حتى لو كانت بين براثن الأسود.

إنها الهواء الذي أستنشقه؛ فلو تركتها لهم وحلَّ بها مكروهٌ لن أسامح نفسي طيلة حياتي، هنا أزاح الكيان القصير غطاء رأسه؛ فانكشف ما خلفه.

صديقي ياسين!! ماذا يفعل هنا؟ وكيف تسلل إلى حلمي؟ أشار إليَّ بيده (اهرب)، وأسدل غطاء رأسه على وجهه مرةً أخرى.

فأطلقت العنان لقدمي، انحرفت يمينًا ويسارًا وقدماي تغوصان في الرمال، لا أنظر خلفي كي لا أتعثر، الاختباء في تلك اللحظات هو أفضل حل.

وجدتُ مقبرةً مفتوحةً أمامي، اقتحمتها دون تفكير وأغلقت الباب خلفي، كان بابها من الحديد المطلي باللون الأسود، وحوائطها مبنيةً

بالقرميد الأبيض.

هبطتُ ثلاث درجاتٍ، وجلست على الرابعةِ؛ لكي أستريح وألتقط أنفاسي، على الرغم من الرائحة الكريهة التي استقبلها أنفي.

انتظرت حتى هدأت وعادت أنفاسي لوتيرتها، ورحت أفكر في حبيبتي وصديقي ياسين، دعوت الله في سري أن يهربا من تلك الكيانات، كنت في صغري أخاف المقابر، كانت سيرتها فقط ترعبني، أنا الآن في مقبرةٍ وحيدًا، ومعي ثلاث جثث ملفوفة بالقماش الأبيض، الذي استحال لونه إلى اللون الأسود والديدان ترتع فوقها.

أنا لست خائفًا بالطبع؛ لأنني أحلم، ففي الأحلام تستطيع تحقيق كل أمانيك.

تستطيع أن تصبح أقوى رجلٍ في العالم، أو أغنى رجلٍ في العالم، تستطيع أن تتزوج بمن تحب ومن لا تحب أيضًا!

فنحن الرجال نحب كل ما هو مؤنث بطبيعة الحال.

ولكن في النهاية ستظل أحلامًا، ولكي تحققها عليك الاستيقاظ. في الحقيقة لو أعطيتني مال قارون على أن أجلس في قبرٍ وحيدًا، لن أفعل.

بمجرد أن انتهيت من التفكير، تحركت الجثث ودبت فيها الحياة وجلستْ نصف جِلسةٍ، فقمت مسرعًا والفزع يكاد يخرج من عيني،

واتجهت نحو الباب، ودفعته للخلف، ولكنه لم يستجب، ركلته بقدمي عدة مرات دون جدوى، مزقتِ الجثث القماش؛ فظهرت ملامحهم، أجساد متحللة متآكلة، الدود اتخذها مرتعًا له، تظهر عظامهم في أماكنٍ كثيرة مختلفة.

صرخت، وأنا انتفضُ من داخلي، وأخذت أضرب على الباب بكل ما أوتيت من قوةٍ حتى أُدمت يداي، ونزلت منهما الدماء كالشلالِ على الأرض.

فجأة سمعت صوت ياسين بالخارج يقول:

- يبدو أنه بالداخل، فهذا صوته.

استنتجتُ أنه يُحدِّث حبيبتي، فحمدت الله أنه لم يصبهم بمكروهٍ، حتى في أسوأ حالتي لا أفكر في نفسي، بل أفكر بها.

مسكين من ليس لديه حبيب يهيم به حبًا، ويملأ فراغ حياته بالتفكير به، ينام على صوته، ويستيقظ على صورته.

فتح ياسين الباب، فتسلل للقبر بصيصٌ من الضوء الكئيب، أمسك ياسين يدي ليجذبني للخارج، ولكن أحدَ الجثثِ كان سريع البديهة، بقفزةٍ واحدةٍ أصبح بجواري، يبدو أنه كان لاعب كرة قدمٍ، فقبض على قدمي اليسرى وسحبني لداخل القبر أنا وياسين، وخارجَ القبر كانت حبيبتي تصرخ؛ ليأتي أحدٌ وينقذنا، ولكن هل يوجد بالمقابر سوى

الجثث؟

عندما لم تجد منفذًا التقطت قالب قرميدٍ ودلفت للداخل، الآن أصبحنا متكافئين: ثلاث جثث، وثلاثة أشخاص، إذًا فلتبدأ المعركة.

كومت قبضة يدي وسددت لكمةً للجثة المُمسكة بقدمي، رجعتْ من إثرها للخلف، فارتطمت بالجدار، ثم سقطت مغشيًا عليها، بينما ركل ياسين الجثة الثانية بقدمِه في مكانٍ حساس، فأمسكت الجثة ما بين قدميها ومالت للأسفل.

غريبٌ أمر هذه الجثث، فهل لها مكان حساس؟!

المهم أن ياسين ركل الجثة بركبته في وجهها فطارت للوراء، في نفس الوقت هَوَت حبيبتي بقالب القرميد على رأس الجثة الثالثة التي سقطت ميتةً في الحال.

في طريق خروجنا، انقضت عليَّ الجثة الثانية بفمٍ مفتوحٍ وأسنان صفراء متآكلة من خلفي، فنبهتني حبيبتي فرفعت يدَي اتقاءً الهجمة، فنشبت أسنانها الصفراء القذرة النخرة في يدي ككلبٍ مسعورٍ لم يذق طعم اللحم لشهورٍ وقضمت منها قطعةً، فتأوهتُ وصَرختُ من شدة الألم.

صاح ياسين بشدة، وأخذ قالب القرميد من حبيبتي ورفعه عاليًا وهوى به على رأس الجثة عدة مراتٍ لا أعرف عددهم، حتى همدت

حركتها.

بخطواتٍ منهكةٍ ومتعبةٍ مستندًا إلى كتف ياسين وحبيبتي خرجنا من القبر وجلسنا بجانبه.

كانت يدي تؤلمني بشدة، فمزقت حبيبتي من قميصها قطعة قماشٍ ولفتها حول يدي المصابة وعقدتها.

ما إن انتهت حتى ظهرت الكيانات على بعد عدة أمتارٍ منَّا؛ فانتصبنا واقفين، هموا بالاقتراب ولكن حدث شيءٌ غريب، اهتزت الأرض بقوة، فظننت أن النجوم والقمر والسماء سيسقطون فوقنا، ولفظت المقابر الجثث خارجها، كأنه يوم الحشر، واهتزت مرةً أخرى، ثم راحت الأرض تبتلع القبور والجثث والكيانات ونحن أيضًا كالرمال المتحركة، انتزعني من هذا الكابوس صوت منبه الهاتف، أمسكت الهاتف وأنا أغالب النعاس، ثم ضغطت على (غفوة) لكي يوقظني بعد عشر دقائق، وبعد عشر دقائق أضغط (غفوة) مرةً ثانية وثالثة على ما أعتقد لو كان الهاتف يتحدث لقال لي: (إذا كنت لا تريد الاستيقاظ في هذا الوقت، فلماذا تضبطني إذًا)، هي عادة عندي لا أعلم هل هي عادة حميدة أم ذميمة، ولكني تعودت عليها.

أخيرًا نهضت من على الفراش وغسلت وجهي ثم ارتديت ملابسي وهبطت إلى الطابق الثاني الذي تعيش به أمي وأختي الصغيرة.

طرقت الباب، ففتحت لي أختي الصغيرة وهي ممسكةٌ ببعض أرغفة العيش، فقبلتها على جبينها القمحي الذي يعلوه شعرُ أسود بلون الفحم، مسترسلٌ على كتفيها، وأنفٌ دقيقٌ، وفم كخاتم سليمان وقلت:

- يا أميرتي الصغيرة أين أمي؟

فابتسمت بخجل الأطفال الصغار وردت:

- أمي في المطبخ تحضر الإفطار

جاءني صوت أمي من داخل المطبخ:

- اجلس يا آدم، لقد انتهيت من إعداد الطعام.

وأكملت:

- تعالي يا جودي خذي مني الأطباق.

وضعت أختي الصغيرة الخبز على السفرة وهرولت للمطبخ، سحبتُ كرسيًا وجلست عليه، ثوانٍ وخرجت أمي ووضعت الأطباق على السفرة، وتبعتها أختي الصغيرة جودي.

انتهيت من الإفطار وقبل أن أخرج من الباب انهالت عليَّ الدعوات من أمي مثل: "ربنا يوقفلك ولاد الحلال، ربنا يبعد عنك ولاد الحرام،

ربنا يرزقك ببنت الحلال"، لا يوجد في العالم قلبٌ أحنّ على الإنسان من قلب الأم، هي الوحيدة التي تدعو لك وأنت موقنٌ أنها لا تريدُ منك

مصلحةً أو أي شيءٍ من هذا القبيل، وأن الدعاء من قلبها، صدقني يا صديقي أصعب إحساس في الكون هو أن ترى التجاعيد وعلامات كِبَر السن تغزو وجه أمك وأًنت لا تستطيع فعل أي شيء، تشعر وكأن قطار َالعمر يجري بأقصى سرعته.

استقللت سيارتي وانطلقتُ حيث شركتي، دلفت باب الشركة ومنها إلى غرفة مكتبي، غرفةٌ واسعةٌ بعض الشيء، بها مكتبٌ كبير أمامه كرسيان من الجلد، وعلى الجانب الأيمن مكتبةٌ بها بعض الكتب والأوراق المهمة، وعلى يساري أريكة مريحة.

طرقَ الساعي الباب ووضع كوب القهوة أمامي وخرج، ودون أن تطرق الباب دخلت ابنة عمي سناء.

أخاف أن أخبرها بأن هذا الأمر لا يصح، ولكن أخاف أن تغضب وحتمًا ستغضب زوجة عمي أيضًا.

- صباح الخير يا آدم.

- صباح الخير يا سناء.

- كيف حالك؟

- الحمد لله، وأنتِ كيف حالك وحال زوجة عمي؟

- أنا بأفضل حال وأمي تدعو لك ليل نهار.

– هل يوجد جديدٌ في العمل؟

– نعم، صاحب شركة الصقر للاستيراد والتصدير أرسل إليك رسالةً على الإيميل أن الشحنة ستأتي في غضون سبعة أيام، وأنه سوف يرسل إليك رسالةً على الإيميل قبلها بيوم.

– تمام أي أخبارٍ أخرى؟

– لا، هذا كل ما لدينا.

– أشكرك يا سناء، تابعي هذا الايميل.

همَّت لتخرج ولكنها وقفت، ووجهها كأنه بركانٌ سينفجر الآن وقالت:

– لماذا لم ترد على هاتفي أمس؟

تصنعت الدهشة وقلت:

– هل اتصلتِ أمس؟

عقدت يديها وبملامح غاضبة قالت:

– نعم، ولم ترد.

– آسف آسف، يبدو أن الهاتف كان في وضعٍ صامت.

– اتصلت بك بعدها بخمس دقائق وكان الهاتف مشغولاً.

آه من النساء لا مفر! فكر معي يا صديقي أريد كذبةً بيضاء؛ لأنهي هذا الحوار "ربنا ما يوقعكش في ضيقة".

- نعم نعم، لقد تذكرت، أمي أخذت مني الهاتف؛ لتحدث إحدى صديقاتها.

قالت وقد لانت ملامحها:

- أنت تعلم أني لا أستطيع النوم قبل أن أسمع صوتك.

الحمد لله لقد خمد البركان.

كسوت وجهي بأمارات الجدية وقلت:

- هذا مكان عملٍ، ولا يجوز فيه الكلام في مثل هذه الأمور.

قالت بغنجٍ:

- حسنًا، سأهاتفك اليوم ليلًا.

فكرت مع نفسي.

- حسنًا، سأغلق هاتفي.

استدارت وتوجهت نحو الباب، كانت ترتدي قميصًا أبيضًا وبنطالًا يرسم مؤخرتها لو ظلَّ دافنشي ينقش مثلها لن يستطيع، الحق يقال هي جميلة، وألف شابٍ يتمناها. يزين وجهها شعرُ أصفر وشفاه كحباتِ

الكرز وعينان زرقاوان وأنف مثل أشهر الممثلات، وجسد ممشوق وليست بالطويلة ولا القصيرة.

تلك مواصفات قياسية لكل شابٍ يبحث عن فتاةِ أحلامه، ولكن مشاعري تجاهها كانت مشاعر الأخوة فقط، فنحن تربينا معًا كنت أراها تقريبًا كل يوم، وكنا نلعب سويًا.

العين تعشق كل ما هو بعيدُ عنها، كل ما هو جديدٌ عليها، أمَّا إذا كان هذا الشيء قريبًا ستمل منه سريعًا، وأنا مؤمنُ جدًا بمقولة (جواز القرايب مصايب)، فهل أرمي نفسي في التهلكة بيدي؟

دق جرس الهاتف، فأمسكته ووضعته على أذني فإذا بأمي تتكلم بنبرةٍ يشوبها الهم والحزن وقالت:

- أختك ياسمين تركت لزوجها المنزل.

فسحبت نفسًا عميقًا وزفرته ورددت قائلًا:

- مرة أخرى!

- نعم.

- هذه المرة الثانية تترك لزوجها المنزل هذا الشهر، ألم تخبركِ بما حدث بينهم؟!

- لا، منذ أتت وهي تبكي ولا تريد إخباري بشيء.

– حسنًا يا أمي، عندما آتي سأعرف منها ما دار بينهم.

عجيبٌ أمر النساء، يغضبون لأتفه الأسباب، أنا متأكدٌ قبل أن أعرف أنه أمرٌ تافه، فالمرة السابقة اتصلت بي أختي وهي تصرخ احضر في الحال، فتركت عملي وانطلقت بالسيارة حتى كدت أن أدهس أحد المارة الذين يمرون بالشارع، والحمد لله أن الله ستر والرجل كان ذا خلقٍ، فكل ما قاله لي هو:

– لا تسرع يا أخي، ففي التأني السلامة وفي العجلة الندامة، قد يكون أحد الأطفال الصغار يمرون بالشارع وتدهسه.

فربتُ على كتفه وقلت له:

– أنا آسفٌ جدًا.

صعدت السلم وأنا ألهث، وطرقت الباب بقوة؛ ففتحت أختي؛ لأجدها ممسكة بريموت التلفاز وبجوارها شنطة مليئة بالملابس، فقلت وأنا أحاول التقاط أنفاسي:

– ما الأمر؟

بوجهٍ أحمر كالبركان قالت:

– سأغادر المنزل.

– اهدئي وأخبريني بما حدث، ولماذا الريموت بيدك؟

– الأستاذ يريد مشاهدة مباراة الكرة وأنا أتابع المسلسل الهندي.

سمعت صوت زوج أختي من الداخل يقول:

– كل يوم تشاهد المسلسل الهندي ولا أتكلم، واليوم ستذاع مباراة هامة جدًا بين الأهلي والزمالك.

يبدو أنني سأفكر في موضوع الزواج جيدًا، هل ستجبرني زوجتي على مشاهدة ما تحب؟ هل سيحدث خلافٌ بيننا بسبب مباراة كرة قدم؟ الحمد لله لست من هواة كرة القدم، البعض يتشاجرون بسبب مباراة كرة قدم! أين الروح الرياضية؟! المشكلة أنهم لن يأخذوا شيئًا من الملايين التي تذهب لكل لاعبٍ في النهاية.

لا أحسدهم بالطبع، فلكل مجتهدٍ نصيب،وكذلك لست من هواة المسلسلات الهندية، لا أعرف كيف للنساء أن تتابع مسلسلًا يبلغ عدد حلقاته المائتي حلقة!

تظل الممثلة نصف ساعة تسقط من الدور الأول والبطل يجري -بالتصوير البطيء- نصف ساعة أخرى لينقذها، ما هذا الهراء المتكلف!

لا لا، فأنا وحبيبتي متفاهمان جدًا.

أخذت أختي جانبا، وأخبرتها أن تستثني هذا اليوم من مشاهدة

المسلسل الهندي ووعدتها أن أجعلها تراه على موقع اليوتيوب غدًا، فاقتنعت.

أمسكني زوج أختي لأجلس، وأتناول العشاء معهم، وأشاهد المباراة، ولكني أبيت، وتركتهم وتعللت بأنني عندي أعمال مهمة جدًا.

المهم أنني أنهيت عملي، وتوجهت للمنزل وجلست مع أختي، كانت عيناها تذرف الدموع، فأعطيتها منديلًا كفكفت دموعها وقالت بصوتٍ متهدج:

- محمود يخونني.

فتنهدت وقلت:

- هل رأيتِه؟

قالت بصوتٍ ممزوجٍ بالبكاء:

- لا، ولكني سمعته.

- أخبريني بما سمعتِه؟

الساعة الواحدة ليلًا تقلبت في فراشي، فلم أجده بجواري، فتسحبت على أطراف أناملي، حتى خرجت للصالة فسمعته يقول:

- أحضرها عندك وسوف أراها وإذا أعجبتني سآخذها عندي في الصالة.

نسيت أن أخبركم أن محمود زوج أختي لديه صالة حديد وهي السبب في زواجِه منها، كنت أتدرب عنده، ولكن الآن انقطعت بسبب كثرة أعمالي. في يوم من الأيام كنت أسير أنا وأختي، ورآها محمود أو الكابتن محمود، فطلَّب يدها.

أخبرت أمي وأختي فوافقتا عندما أخبرتهما أنه ابن حلال. كانت العلاقة بيننا ليست مدربًا وتلميذه، بل كنا قريبين جدًا من بعضنا البعض، يحكي لي أسراره، وأحكي له أسراري، أعرف أخلاقه جيدًا، لم أرَ منه أي عملٍ مشين، يصلي الصلاة في أوقاتها؛ فكيف يخون أختي؟! لا أعرف.

دلفت أمي وسألتني ما سبب غضبها؟

فقلت:

- إنه أمرٌ تافه يا أمي، سأتحدث مع محمود وأعرف تفاصيل المشكلة.

فرمقتني أختي ياسمين بنظرةٍ نارية.

قبل أن أرد قالت أمي:

- هيا اجهزا، ستأتي اليوم زوجة عمكم وابنتها يتناولون الغداء معنا.

فكرت مع نفسي، أهرب من بنت عمي في الشركة تأتي إلى المنزل!

نلتف حول المائدة، قالت زوجة عمي بعدما رأت وجه أختي والحزن

يطفح منه:

- ما بكِ يا ياسمين؟

- لا شيء.

- كيف والدموع تكاد تنطق من عينيكِ لتخبرنا بشيءٍ داخلك.

استلمت أمي دفة الحديث وقالت:

- مشكلة بينها وبين زوجها، والله أنهما محسودانِ.

لأرد أنا:

- يا أمي، ليس كل شيءٍ حسدًا، هناك مشاكل نفتعلها بأنفسنا ونعلقها على شماعة الحسد.

كانت زوجة عمي تنظر إليَّ نظرات لا أعرف هل هي معي أم ضدي؟ فتدخلت بنت عمي سناء قائلة وهي تضع الملعقة في طبق الأرز:

- أنت لا تؤمن بالحسد إذًا؟

قالت أمي:

- الحسد مذكورٌ في القرآن.

فنظرت إليَّ وقالت:

- ألا تتذكر عمك خالد الذي كان يسكن في العمارة المقابلة لنا،

عندما كان يعمل في محل بقالة، ووسع الله رزقه، وأصبح صاحب أكبر سوبر ماركت في المنطقة ماذا حدث له؟! استيقظنا على صوت المطافئ التي حضرت بعد أن تفحم محله، أليس هذا حسدٌ؟!

- يا أمي أنا لم أقل أني لا أؤمن بالحسد، الحسد موجود، وبالمناسبة محل عم خالد اتضح أن سبب الحريق كان ماسًا كهربائيًا.

لملمت أمي وأختي الصغيرة الأطباق، وساعدتهما بنت عمي، تريد أن تريني أنها ربة منزل ماهرة.

صنعت أمي الشاي وأحضرته على الصينية، ووضعتها على المنضدة، فأخذت زوجة عمي كوبًا، وأمسكت أمي من يدها وجرتها إلى الشرفة، وقالت لها:

- أريدكِ في موضوعٍ مهم.

ونظرت إلى أختي الصغيرة ووضعت في يدها خمس جنيهات، وقالت لها: اذهبي واشتر الحلوى.

ذكرتني زوجة عمي بخطط هتلر في الحرب العالمية الثانية، لو وقعت الحرب العالمية الثالثة حتماً ستقودها زوجة عمي.

ذهبوا جميعًا وتركوني فريسةً بين مخالب بنت عمي سناء، ولكن هيهات لن أفرط في شرفي فأنتم تعلمون أن شرف الرجل مثل عود

الكبريت.

بدأت هي الكلام:

– أتعلم يا آدم! لقد تقدم لخطبتي منذ ثلاثة أيام شابٌ غنيٌ ووسيمٌ ومهندس، وظلت أمي تلح عليَّ لأقبل به، ولكني رفضته.

قلت لها مازحًا:

– لو تقدم لي أنا شابٌ بهذه المواصفات لقبلته.

قهقهت وضربتني بيدها على صدري وقالت:

– أنا أريد شابًا مثلك طموحًا وذكيًا.

سأصارحها وأخبرها أني مرتبط بصديقة لي ويحدث ما يحدث.

دق هاتفي فنظرت إلى الشاشة فإذا برقم زوج أختي، ضغطت على زر (رد).

– السلام عليكم.

– وعليكم السلام.

– أريد التحدث إليك يا آدم.

– كنتُ سأتصل بك يا محمود.

– أين أنت الآن؟

- بالمنزل.

وأردفت قائلاً:

- سأنتظرك في القهوة التي أجلس عليها، خمس دقائق وسوف أكون عندك.

- أمامي لا يقل عن نصف ساعة.

- سأنتظرك هناك.

الحمد لله، جاء هذا الهاتف في الوقت المناسب.

- اعذريني يا سناء، سأقابل زوج أختي لأعرف سبب المشكلة.

تقلص وجهها، وزفرت زفرةً شعرت أنها ستحرق من بالمنزل جميعًا.

على القهوة سحبت كرسيًا وجلست في مكانٍ يطل على الشارع، وطلبت من صبي القهوة كوبًا من الشاي، ورحت أرتشف منه ريثما يحضر محمود، فأمامه نصف ساعة كما أخبرني.

كانت السماء صافيةً، والشمس تطل علينا وترسل خيوطها الذهبية، أخذتُ أشاهد الذاهب والآتي، كل واحدٍ من هؤلاء يعيش قصته التي هو البطل بها، منهم من هو حزينٌ كحزنِ البلد التي نعيش بها، ومنهم من ترتسم الابتسامة على وجهه، واستوقفني مشهدٌ جميل، شاب ممسكٌ بيد فتاةٍ يبدو أنهم مخطوبان، يتمتم لها في أذنها بكلامٍ لم أتبينه، ولكنها

تضحك، فتذكرت قصة حبي التي ستخلد مثل قصة روميو وجوليت، اعذرني يا صديقي، فأنا أهيمُ بها حبًا، هي بالنسبة لي الماء والهواء، لا أتخيل حياتي دونها، أتذكرها أثناء نومي وأثناء يقظتي.

لو بيدي لوضعتها في محارةٍ مثل اللؤلؤ؛ لكيلا يراها غيري، ولماذا من الأساس يراها الناس؟!

فأنا الذي أحبها، أنا الذي أغار عليها من الهواء، أنا الذي أعشقها بجنون.

انتشلتني من تفكيري يدُ وُضِعت على كتفي، يد ثقيلة تنتهي بجسدٍ مليءٍ بعضلاتٍ تكاد تمزق الملابس، ووجهٌ مستدير، ورأسٌ غزاها صلعٌ قليل من المقدمة.

قال زوج أختي بعد أن جلس على الكرسي:

- اعذرني إن اتصلت بك في هذا الوقت.

- لا عليك، لقد اتصلت في الوقت المناسب.

- هل أخبرتك أختك بما حدث؟

- نعم، ولكني لم أصدقها، وفضلت أن أنتظر حتى تخبرني أنت.

- أولًا: أودُّ أن أوضح لك شيئًا، أختك أصبحت هذه الأيام متقلبة الأحوال، تارةً أجدها زوجةً حنون، تسمع الكلام، وتارةً أخرى أجدها

تفتعل المشاكل وتتعمد إغاظتي.

همت أن أتكلم، ولكنه أكمل مسرعًا؛ كي لا أقطع حديثه.

- أمَّا بخصوص المشكلة الأخيرة، أحد أصدقائي ابتاع بعض اجهزة كمال الأجسام، واتصل بي ليخبرني، فقلت له أنني لن أشتري شيئًا حتى أراه وأجربه بنفسي، فطلبت منه أن يبقيها عنده في المنزل حتى ألقي عليها نظرةً، سمعت أختك المكالمة، وظنت أن الموضوع عن إحدى النساء. هل تعلم هذا عني يا آدم؟

هززت رأسي دِلالة على النفي وقلت:

- بالطبعِ لا، اعذرني.. نسيت أن أطلب لك مشروبًا.

- لا لا، شكرًا.

أصررت وناديت على صبي القهوة، وطلبت منه كوبًا من الحِلبة.

ظللنا نتحدث حوالي الساعة، وفي النهاية قلت له:

- سأوضح سوء التفاهم لأختي.

وتركت الحساب على المنضدة وصافحته وقلت له:

- نصف ساعة واتبعني إلى المنزل، سأحاول تهدئة الأمور ريثما تأتي.

بالفعل أتى وتمت جلسة صلحٍ بينه وبين أختي التي كان باديًا عليها

عدم الاقتناع، ولكنها وافقت إرضاء لي ولأمي.

بعد يوم مرهقٍ ومضنٍ مثل هذا اليوم، لابد من تغيير الجو، هاتفت صديقي عمّاد وياسين وقلت لهم:

- نتقابل ليلاً في القهوة.

صعدت إلى شقتي، غسلت وجهي، وبدلت ملابسي، وأمسكت بالرواية التي كنت أقرأ بها، وضعتها بجانبي ثم التقط الهاتف من على التسريحة، ودخلت إلى موقع التواصل الاجتماعي؛ لأقرأ التعليقات على آخر منشور كتبته، وجدت تعليقاتٍ لأشخاص يتهموني بالإلحاد لا أعرف لماذا؟! وآخرون يتهموني بالجهل، وآخرون يخبروني أن النار مثواي، وبعض التعليقات القليلة التي كانت تساندني وتريد تفسيرًا مقنعًا.

أخذت الرواية ورحت أقرأ بها، لا أعرف كيف يعيش الناس دون قراءة! القراءة كمال أجسام العقل.

على القهوة جلس ثلاثتنا حول منضدةٍ، وأمام كل واحدٍ منّا كوبًا من الشاي.

نظر لي ياسين ثم قال:

- لقد قرأتُ منشورك على (فيس بوك) ولكني لم أضع تعليقًا، قلت

إننا سنتقابل هنا وأسألك وجهًا لوجه، ألا تؤمن بتسخير الجن؟

رشفت رشفةً من الكوب المستكين أمامي وقلت بطرف فمي:

- نعم.

أمسك يد عماد وقال:

- اشهد معنا يا عماد.

هز عماد كتفيه وقال:

- أشهد على ماذا؟!

مال ياسين على المنضدة وراح يرمقني ويرمق عماد، وبصوتٍ خفيضٍ يكاد لا يُسمع قال:

- سأجلب أحد أصدقائي يحضر عفريتًا أمامك.

احمر وجه عماد وسارت قشعريرةٌ في جسده وقال بعد أن عدل وضع نظارته:

- لا لا، لن أحضر معكم.

رجعت بظهري وملت برأسي للخلف على الكرسي من كثرة الضحك وقلت:

- يبدو أن الخوف تملك منك.

رد قائلًا:

– ومَن منَّا لا يخاف من هذه الأشياء، عندما أخبرتنا من قبل أن الجن لا يستطيع إيذاء البشر، وليس له وجودٌ مادي، بحثت وقرأت ووجدت –اعذرني يا آدم– أن كلامك خاطئ. فهل سمعت من قبل عن بئر برهوت، البئر الذي بناه الجن.

مططت شفتي وقلت:

– الحقيقة، لم أسمع.

– بئر برهوت في محافظة حضرموت في اليمن يُقال أنه تم حفرها بأيدي الجن، وكان السبب منها أن تكون سجنًا لكل جني يخالف الأوامر والتعليمات، ويقال أيضا إنه تم حفرها بأمر من أحًد ملوك الدولة الحميرية القديمة، والذي أعطى أوامره لأتباعه من الجن والشياطين بحفر بئر؛ ليضع به ثروته وأملاكه.

دق هاتف ياسين فأخرجه مسرعًا لكي يستمع لباقي القصة ولكنه عندما رأى رقم المتصل احمرَّ وجهه، فسألته من؟

تمتم بكلماتٍ مرتعشةٍ قائلًا:

– أحد أصدقائي.

وأكمل عماد:

- ومن القصص المشهورة والتي حدثت بزمننا الحالي بنية استكشاف البئر حيث كانت محاولةً فردية من أحد موظفي شركة خط الصحراء، كان قد تشجع وأعلن رغبته النزول للبئر؛ لاستكشافه، وبالفعل تم ربطه بواسطة زملائه بالشركة بحبلٍ من معدنٍ زود أيضًا بكاميرا تصوير لتوثيق لحظات نزوله لقاع البئر، وتم إنزاله حتى وصل لعمق مئة متر من البئر، وسرعان ما صرخ الرجل صرخات متتالية مما أصاب العمال بصدمةٍ كما طلب منهم سحبه للأعلى فأخرجوه من البئر على الفور، وفي الحال قاموا برفعه وبعدما خرج وهدأ من روعه سألوه عن السبب، فأجابهم بأنه رأى أن حلقة البئر كادت تنغلق عليه، وأرادوا معرفة ما حدث عن طريق ما تم تصويره بالكاميرا، والشيء الذي جعلهم يُصدمون أكثر أنهم وجدوا أن الكاميرا لم تصور إلَّا ظلاما على الرغم من وضوح الرؤية والتصوير بذلك الوقت بالبئر.

اعتدل على الكرسي وقال:

- وقصة أخرى تقول: إن سبعة رجال كانوا يريدون الماء، فنزل أحدهم بعد أن ربطوه، وعندما سمعوا صراخه أخرجوه، ولكن كانت الفاجعة، فقد كان نصفه السفلي مفقودًا. وأيضًا يُقال: إن أم بلقيس كانت من الجن، واسمها بلعمة بنت سيصان، وذكر نسبها إلى سام بن نوح، وأن أباها -واسمه السرح- تكبر على الملوك، ولم يتزوج منهم، فزوجوه امرأةً من الجن، يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت بلقيسًا.

وأنت تعرف قصتها الشهيرة. عندما قابلت سيدنا سليمان فأراد أن يريها أن سلطانه أعظم من سلطانها؛ فأمر سيدنا سليمان الجن ليصنعوا له صرحًا، وقد عملته له الجن من زجاج كأنه الماء وأرسل الماء تحته. ثم قال لها: "ادخلي"، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها، فرأى سيدنا سليمان قدميها كانتا كحافر الحمار، فتأكد أنها بنت جنية.

- هل هذه القصص خرافات يا آدم؟

هنا تدخل ياسين قبل أن أرد وقال:

- يوجد حديثٌ للرسول يقول: (إن بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا فمن رأى شيئًا من هذه العوامر فلا يؤذينه ثلاثًا فإن، بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان). والعوامر هنا يا آدم هي الحيات والثعابين التي تكون في البيوت، وهذا أكبر دليل على تجسد الجن في هيئة الحيوانات.

بصراحة شعرت أنني في مباراة ملاكمة، وهم يكيلون اللكمات لي ولا أستطيع الرد المقنع.

بحثت وفتشت داخل عقلي حتى أجد الرد المناسب فلم أجد، شعرت حينها أن عقلي قد أصابه الشلل، وقبل أن أتفوه بكلمةٍ سحب رجلٌ خمسيني يرتدي قميصًا وبنطالًا ذا شعرٍ أبيض، بدأت التجاعيد تطفو على وجهه قائلًا بنبرة الواثق:

- سامحني يا أستاذ إن تدخلت في حواركم، ولكني أرى أن كلام

أصدقائك صحيحًا جدًا.

ثم أخذ كوب الشاي الموضوع على منضدته ووضعه على منضدتنا، واسترسل:

- كنت في أحد الأيام أزرع في حقلي الساعة الواحدة ليلًا، وقبل أن أنتهي جاء أحد الفلاحين والذي يمتلك أرضًا بجواري، وأصر أن يساعدني، فأبيتُ ولكنه ألحَّ عليَّ.

انتهيت من زراعة الأرض، وجلسنا أنا وهو بجوار شجرة توتٍ كانت تزين أرضي. أحضرت بعض الأخشاب الصغيرة، وأشعلت بها النار ووضعت عليها براد الشاي. عندما أشعلت النار أضاءت ما حولها، فرأيت قدمه، وكانت قدم ماعز! تركت الشاي وأطلقت العنان لساقي، دقات قلبي كانت تعزف موسيقى حسب الله، حتى حماري نسيته هناك. وجدت رجلًا جالسًا على مصطبة أمام منزلٍ، فرآني ورأى لون وجهي الذي تبدل للون الأصفر. أجلسني بجواره، وأحضر لي كوبًا من الماء تجرعته دفعةً واحدة. انتظر حتى هدأت وسألني: ما بك؟ فسردت له ما حدث. فرفع جلبابه وإذا بي أجد نفس القدم التي رأيتها منذ قليل.

ضحك ياسين وعماد، بينما أنا ابتسمت ابتسامةً خفيفة.

أراهنك يا صديقي أنك سمعت هذه القصة من جدك، أو من أحد

أقاربك، أو من صديق لك، المهم أنك سمعتها بنفس التفاصيل والحبكة يبدو أن المخرج في زمانهم كان رجلًا واحدًا في البلد كلها.

حاولنا أن ننهي الموضوع؛ حتى لا يلتف حولنا كل رواد القهوة، ويحكوا لنا أساطيرهم الخارقة مع الجن.

وهذا يخبرك أن الجن أخذه ثلاث ليالٍ تحت الأرض عندهم، وعرضوا عليه الذهب والمرجان؛ حتى يتزوج منهم، ولكنه رفض.

وآخر يقول لك إن والده رأى عفريتًا، فقيده في إحدى الأشجار حتى يأتي الصباح.

في طريقي إلى المنزل، اتصلت بحبيبتي وأخبرتها أني قد جزتُ لها مفاجأةً، وبالطبع لم أنهِ المكالمة إلَّا بعد الكثير من كلام الحب.

في اليوم التالي، أجلس على كرسيٍّ وأمامي منضدةٌ وكرسي في الجهة الأخرى في أحد الكافيهات المُطلة على البحر، فحبيبتي تعشق البحر، ولو طلبت مني أن أجلس في كافيه بجانب القمر لفعلت.

جاءت روحي وقلبي، أتت بخطواتٍ تهتز لها الأرض، فالأرض لا تحتمل هذا الجمال، تنشر عبيرها وشذاها في الكون كله.

كانت ترتدي فستانًا أبيضًا كوردةٍ في مراحل تفتحها، أحمد الله أنه لا يوجد بالمكان ورد حتى لا يغار منها.

انتصبتُ واقفًا وأجلستها على الكرسي ومن ثم عدت إلى مكاني.

قلت لها والشوق ينسكب من عيني:

- يومان لا أراكِ بهم؟

تضرج وجهها بحمرة الخجل وقالت:

- صدقني غصبًا عني.

قلت وأنا أدفع يدي لكي تمسك يدها.

- وددت لو أراكِ كل يومٍ وكل ساعةٍ وكل دقيقةٍ وكل ثانية.

ما إن تلامست الأيادي حتى سحبت يدها وهي تبتسم باستحياء.

في هذه الأيام قلَّ هذا النوع من الفتيات اللاتي تخجل من أن يمسك أحدٌ يدها، فهناك فتيات كثيرات في وقتنا هذا ما إن أمسكت يدها أمسكت يدك واعتصرتها؛ لهذا أنا متيمٌ بها.

قالت بدلال:

- أين المفاجأة؟

دسست يدي في جيبي، وأخرجت علبةً صغيرة وضعتها أمامها، ففتحتها ووجدت خاتمًا كانت قد رأته عند أحد محلات المجوهرات أثناء تجولنا.

أمسكت الخاتم بكلتا يديها وضمته إلى صدرها وقالت بابتسامةٍ راقيةٍ:

- هل تحبني لهذه الدرجة؟! أنا لم أخبرك أني رأيت هذا الخاتم وأعجبت به.

عدت للخلف وقلت بلهفةٍ:

- يكفي أنني رأيت عينيكِ وهي تريده، اطلبي ما تشائين وسيتم تنفيذه في الحال، فلتكوني أنتِ الأميرة ونحن الخدم. لو طلبتِ قطعةً من السماء لتزيني بها غرفتك؛ لأحضرتها لكِ على الفور. لو طلبتِ نجمةً من السماء لتضيئي غرفتك ليلاً، فلن أتأخر دقيقة.

نظرت لي بعينيها وبصوت رقيق قالت:

- هل تحبني لهذه الدرجة؟

ما إن نظرتْ إليّ بعينيها حتى راح عقلي كمن احتسى أطنانًا من الخمرِ.

تمنيتُ حينها لو أنني أسكن في منزلٍ شرفته تطل على عينيها.

ولماذا أتمنى، فهي ستصبح لي بأكملها.

صوبت عيني على عينيها وقلت:

- ومن يكون معه حورية من الجنة ولا يعشقها؟!

وأكملت:

- هل تتذكرين أول يومٍ رأيتك فيه؟

ضحكت حتى أفتر ثغرها عن صفَّينِ من اللؤلؤ، ثم قالت:

- نعم أتذكر، كان يومًا لا أستطيع أن أنساه.

كانت تسير هي وصديقتها عائدتان من الدراسة، وأنا أيضًا وكنت أسير بالقرب منهما، اقترب منهم شخصٌ قصير القامة يبدو أنه (عامل دماغ) كما يقولون، وراح يشاكسهم. لم يبالوا به واستمرتا في السير، وأنا كنت أراقب الموضوع عن قرب.

يبدو أنه قال لهما كلمةً خادشةً للحياء؛ لأنهما توقفتا وأخذتا تكيلان له الشتائم.

رفع يده ليصفعها على وجهها، ولكن يدي سبقت يده فأمسكتها وقلت له بغضب:

- هل ما أنت مقدمٌ على فعله من المروءة؟ أليس لديك أخوات؟

رد بكل بجاحةٍ ووقاحة وقال:

- ما دخل أمك؟

رددت عليه بكل عنفٍ، ليس بفمي، ولكن بيدي.

لكمته لكمةً في مِنخاره الذي يشبه (أبا قردان)؛ فطار للخلف ووقع على مؤخرته.

ظننت أنه بعد هذه الوقعة سيذهب لأخصائي مسالك بولية، ولكنه قام يتطوح وأخرج هاتفًا من جيبه واتصل برقمٍ، ثم دسَّ الهاتف في جيبه مرة أخرى.

وهذه المرة استل مطوةً وفتحها باحترافيةٍ، ورفعها في وجهي، والغريب أن المارة لم يتدخلوا ليفضوا هذا النزاع.

لم تمر ثوانٍ حتى رأيت ثلاثة أشخاصٍ يستقلون دراجةً بخارية وقفوا بجانبنا.

- أنا آسف.

هم ليسوا ثلاثة أشخاص، هم ثلاثة بِغال، من مناظرهم تعرف أنهم أصحاب سوابق، تزين وجوههم ضربات المطاوي.

عرفت الآن لماذا لم يتدخل أحد! سأله أحدهم مَن الذي مدَّ يده عليك؟

فأشار بيده تجاهي، والدماء تتساقط من أنفه.

تقدم الثلاثة تجاهي، وبدا لي أنه يومٌ أسود اللون، قال أحدهم:

- لماذا ضربته؟

أجبت وأنا أحاول أن يكون صوتي ليس به خوف أو تردد.

- أيرضيك أن يعاكس الفتاة، ويقول لها ألفاظًا خارجة؟

نظر إلى الشخص الذي كان يشاكس الفتاة وقال له:

- هل حدث هذا بالفعل؟

ردَّ وهو يضع كم القميص على أنفه:

- لم يحدث، هذا الأحمق يتفوَّه بأي كلام.

نظر إليَّ والشرر يتطاير من عينيه! دق الخوف بابي فقلت له:

- انتظر، اسأل الفتاة بنفسك.

بحثت عن الفتاةِ فلم أجد لها أثرًا، كأن الأرض انشقت وابتلعتها.

تمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعني أنا الآخر.

ألم أقل لكم أنه يوم أسود؟!

تناوبوا عليَّ بكل صنوف الضرب الذي يخطر على بالكم والذي لا يخطر، أتى شابٌ مهرولًا.

قلت في نفسي:

- الحمد لله أتت النجدة، سينقذني من براثن هؤلاء الأوغاد.

قال القادم:

- ماذا فعل؟

رد أحدهم وهو منهمكٌ في ضربي:

- ضرب أخاك.

وبالطبع أنتم تعلمون الباقي.

قاعدة رقم واحد: إذا وجدت شخصًا يعاكس فتاة، فاذهب ودافع عنها بالطبع وإلَّا تصبح نذلًا.

بعد أن انتهوا من ضربي، رحلوا وتركوني غارقًا في دمائي، وهنا ظهر أولاد الحلال.

أين كنتم يا أولاد الـــــــ... الحلال.

رفعوني عن الأرض، ووضع أحدهم يدي على كتفِه، أسندوني حتى أجلسوني على مقهى كان بجوارنا، وطلبوا لي عصيرًا وأحضروا قطنًا وشيئا أحمر لا أعرف اسمه، وراحوا يمسحون على كل المناطق المتضررة في جسدي.

وأخبروني أن من كنت أتعارك معهم هم أكبر عائلة بلطجية في المنطقة، ولا أحد يستطيع التفوه معهم بربع كلمة، وإلَّا سيحدث له مثل ما حدث لي ولغيري.

أوقفوا لي تاكسي وأرادوا أن يعطوني مالًا، ولكني رفضت.

دلفت التاكسي وجلست بجوار السائق، عندما رآني السائق ارتسمت الدهشة على وجهه وقال:

- خير يا أستاذ، هل صدمتك سيارة؟

- نعم نعم، صدمتني سيارة.

لا أريد أن أدخل في حوار وأنا منهكٌ وكل عضوٍ في جسدي يئن، ولكنه مُصرٌ أن يفتح مجالًا للكلام وقال:

- احترس يا أستاذ، فهناك بعض السائقين يتعاطـ...

هنا رأيتها.

هي.

أنا لا أحلم!

أشارت بيدها للسائق فتوقف عن الكلام، أتت مهرولةً وبصوتٍ يملأه الامتنان والحزن قالت:

- أنا آسفة.كنت أراقب ما يحدث، ولكني خفت، فتواريت بعيدًا حتى تنتهي المعركة. ظننت أن الموضوع كلمتان وينتهي، لا أعلم أنهم من أصحاب السوابق وذرفت عيناها الدموع.

كنت سأنفجر في وجهها، ولكن تلك الدموع كانت بمثابة الماء الذي وُضعَ على النار فأطفأها.

عندما تلاقت عيني بعينها، لا أعلم ما أصابني، وكأن كل جراحي قد اندملت كأني تجرعت أكسير الخلود.

قلت لها:

- لو لم تذهبي لما حدث ما حدث، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

في اليوم التالي بعد أن انتهت الدراسة قابلتها وجلسنا معًا، وتبادلنا أرقام الهواتف ومن هنا بدأت قصة حبنا.

انتهت جِلستي مع حبيبتي، فودعتها بكلماتٍ ملتهبةٍ مليئةٍ بالحب، معذرة يا صديقي!

فأنا أخبرتك بكل أسماء من بالرواية، ولكن إلى الآن لم أذكر لك اسم حبيبتي.

اعذرني، فأنا أغار عليها من أن يعرفه أحد غيري.

ليلًا في منزلي، وبالتحديد في غرفتي جاءني هاتفٌ من ياسين أنه سيأتي هو وصديقه الساحر وعماد؛ لكي يُحضر لنا جنيًّا أمام أعيننا.

وافقته بالطبع؛ لكيلا يظن أنني خائف، وأيضًا لأنني أعلم جيدًا أساليب السحرة والدجالين وما يفعلونه من خداع بصري كما حدث مع سحرة فرعون عندما ألقوا بحبالهم وعصيهم وأوهموا الناس أنها ثعابين تسعى وهي مجرد حبال وعصي.

حتى السحرة أنفسهم لما ألقى سيدنا موسى عصاه، وتحولت أمام أعينهم إلى ثعبانٍ ضخم، والتهمت عصيهم أيقنوا أن ما يحدث أمامهم ليس خداعًا بصريًا، وإنما معجزةٌ من عند الله.

الساعة العاشرة ليلًا دق هاتفي فأخرجته لأجد ياسين يخبرني أنه أمام منزلي هو وعماد وصديقهم الساحر.

أخيرًا حانت ساعة الحسم، حانت ساعة الحقيقة.

سأعرف هل أسير على الطريق الصحيح أم في الطريق الخاطئ؟!

فهذه التجربة ستغير حياتي مئة وثمانين درجة.

نزلت لكي أستقبلهم، وأخذتهم وصعدنا إلى شقتي بعد أن سلمت عليهم، جلسنا نحن الأربعة على (الأنتريه).

نظر ياسين إلى صديقه وأشار بيده تجاهه وقال:

- أعرفك يا آدم، هذا صديقي مبروك الذي حدثتك عنه.

ثم حول نظره إليَّ وأشار بيده ثم قال:

- وهذا صديقي آدم، وبالطبع عماد، قد تعرفت عليه في الطريق.

صوبت نظري نحوه ورسمت على وجهي ابتسامةً خفيفة وقلت:

- تشرفنا.

بادلني بابتسامةٍ وقال:

- نحن من ازددنا شرفًا أن تعرفنا عليك.

كان مبروك يرتدي جلبابًا وصندلًا في قدمه، مستدير الوجه، شعره أسود قصير، ولحيته خفيفة مشذبة، يبدو أنه يضع عليها أحد الزيوت؛ لأنها تلمع، تشعر برهبةٍ عندما تنظر إلى عينيه، ملتف حول إصبعه البنصر خاتمٌ شكله غريب، مرسوم عليه جمجمة بها عينان حمراوان.

- أخبرني ياسين أنك لا تؤمن بوجود الجن المادي، ولا بتحضير الجن والأرواح، ولا بتجسد الجن على شكل بشر أو تلبسهم للبشر، وتقول إن هذه الأشياء مجرد خرافات.

قالها مبروك لي وهو ينظر إليَّ، فرددت عليه قائلًا:

- نعم.

- ولكنك تؤمن بوجودهم؟

- بالطبع.

- وما هي حجتك على عدم ظهور الجن وتجسده في شكل إنسان، أو تلبسهم بالبشر وتحضير الأرواح؟

- سأخبرك بقصةٍ حقيقة تثبت أن تحضير الأرواح ماهو إلَّا أكذوبة، ولكن بعد أن أعد لك الشاي.

هممت أن أقوم، ولكن عماد أوقفني بإشارةٍ من يده وقال:

- سأذهب أنا.

قلت مستكملًا حديثي:

- (الأخوات فوكس الشهيرات في أمريكا)، في أوائل القرن العشرين كنَّ ثلاث شقيقات يتخاطبن مع الأرواح في بيتهن وذلك عن طريق إحداث خبطات معينة، فكانت الأرواح ترد بشفرةٍ مماثلة، وعن طريق هذه الرسائل المتبادلة عرفن أن هناك قتيلًا دُفِنَ في جدار منزلهن. عمت شهرة الأخوات الثلاث ربوع البلاد، ومن هنا ظهرت فكرة التخاطب مع الأرواح، وتكونت جمعيات في كل مكان من العالم تجرب الشيء ذاته.

هنا ظهر عماد ممسكًا صينيةٍ عليها أربع أكواب من الشاي ووضعها أمامنا على المنضدة، فأخد مبروك كوبًا، وأخذتُ كوبًا أنا الآخر، رشفت منه رشفةً، ثم أعدته إلى المنضدة وأكملت:

- لكن حب الشهرة يحرك المرء دومًا، وأحيانًا يعترف بجريمته؛ ليفتخر بعبقريته مفضلًا السجن على الكتمان.

هكذا اعترفت إحداهن وتُدعى "مارجرت فوكس" بأن الصوت الرهيب الذي كانت تحدثه الأشباح أحدثته هي بمفاصل قدمها. وقد أحدثت صوت الدقات الشبحية أمام ألفيْ متفرجٍ مذهولٍ في مسرحٍ

كبير.

ابتلعت ريقي ثم أكملت:

– وقد قالت بهذا الاعتراف أن كل موضوع الوساطة الروحية هذا نصبٌ في نصب. لكنه نصب على أعلى طراز ويحتاج إلى تدريب شاق. كانت ضربةً قوية جدًا لعلم الوساطة الروحانية، وقد رفض الكثير من علماء البارسايكولوجي الاعتراف بهذه الهزيمة.

– مشكلتك يا آدم أنك تبحث من طرفٍ واحد.

قالها صديقنا الساحر مستنكرًا ثم أكملَ:

– أو بالأدق تبحث عما يثبت وجهة نظرك أنت، وبمجرد قراءتك لقصةٍ واحدة تقتنع أنك في الطريق الصحيح، الأمور ليست بهذه البساطة. الجن والعفاريت عالمٌ ثانٍ، عالمٌ كبير مثل عالم البشر، لا يستطيع أحدٌ إنكاره إلّا..

رماني بنظرة ثم قال:

– أنا آسف، إلّا إذا كان غير مطّلع. وهناك آلاف الأدلة التي تثبت تشكُّل الجن على هيئة البشر والحيوانات وتعامل البشر معهم أيضًا. سأسرد لك حديثًا، ثم نفعل ما جئنا من أجله.

اعتدل على الكرسي الذي يجلس عليه وقال:

- يوجد حديثٌ عن أبي هريرة فيما معناه أن أبو هريرة أمسك لصًا يسرق من بيت المال فقال له: "سأبلغ أمرك لرسول الله"، فقال اللص: "إني محتاجٌ وعندي أولاد"، فتركه أبو هريرة. في الصباح قال الرسول: "يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟"، فقال له أبو هريرة: "لقد شكا الفقر"، فقال له الرسول: "إنَّه كذاب وسيعود"، وعاد اللص وتكرر معه نفس الكلام، وفي المرة الثالثة قال اللص لأبي هريرة: "اتركني وسأعلمك كلمات ينفعك الله بها"، وأخبره بالكلمات، وعندما حكى أبو هريرة للرسول قال له رسول الله: "هل تعلم مع من كنت تتخاطب؟"، قال أبو هريرة: "لا"، فقال له الرسول: "ذاك شيطان".

بعد أن سمعت هذا الحديث شعرت أن عقلي سينفجر، قرأت كثيرًا عن أدلةٍ تثبت أن الجن والعفاريت عالمٌ غير مرئي، ولا يستطيع أحدٌ التعامل معهم، والآن أستمع إلى أدلةٍ تثبت التعامل معهم والعيش معهم أيضًا، تحدثت مع نفسي قائلًا:

- (يا خبر بفلوس كمان شوية هيبقى ببلاش).

سيقوم مبروك بتحضير الجن أمام عيني وحينها سينكشف الستار.

وزع مبروك نظره على ثلاثتنا وقال:

- هل أنتم جاهزون؟

رددت بثقةٍ قائلًا:

- جاهز.

وقال ياسين:

- وأنا أيضًا.

ولكن عماد صمتَ ولم ينبس ببنتِ شفةٍ، وكان الخوف سيلتهم منه قطعةً، وبعد ثوانٍ قال:

- لا، أنا لست معكم، سأعود لمنزلي.

قال له ياسين:

- ولماذا حضرت معنا من البداية؟

رد عماد وقد تزايد الخوف في عينيه:

- لقد غيرت رأيي.

تدخل مبروك قائلًا:

- لا تخف يا عماد، لن يحدث لك مكروهٌ، لا أنت ولا أصدقاءك، هذا وعدٌ مني.

فقلت أنا الآخر:

- هذه أفعال الأطفال لا تجزع لقد طمأنك الساحر.

قال ياسين:

– هيا يا مبروك، توكل على الله.

أخرج مبروك من جيب جلبابه كيسًا به بخور، وأمرني أن أحضر له طبقًا وبوتوجازًا صغيرًا.

أحضرت له (السبرتاية) التي أصنع عليها القهوة فلم يعترض، قبل أن يفعل أي شيء، أمرنا أن نقرأ سورة الفاتحة، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثلاث مرات.

أخرج قدَّاحةً وأشعل بها (السبرتاية)، ثم وضع عليها الطبق وأفرغ نصف الكيس الذي يحوي البخور، راحت الأبخرة تتراقص وتصعد لسقف الغرفة.

كنا ننظر أنا وعماد ونشعر برهبةٍ الموقف، ولكن ياسين لا يبالي وكأنه حضرَ مثل هذه الجلسات سابقًا.

صمتٌ وسكونٌ وهدوء خيَّم على الصالة، قطعت ذاك الصمت همهمات من الساحر الذي كان مغمض العينينِ، لم نتبين معناها كأنه يتحدث مع أحدٍ ولا يريد أن نسمع ما يقوله.

فتح عينيه بطريقةٍ مرعبةٍ ومخيفة وفي الوقت نفسه راح يقول:

– بسم الذي خلق الإنس والجان، بسم مسيِّر الأكوان.

بسم الذي صنع الزمان وهو موجودٌ في كل مكان.

أنزلتَ على نبيكَ القرآن، وأعطيتَ مُلكًا عظيمًا لسيدنا سليمان. جعلت الطيور تخدمه والعفاريت والجان.

بسم الكنز المدفون وأوليائك المخلصين.

ثم وضع باقي محتويات الكيس وأكمل:

- سوهراج موهراج. سيناب سيناب.

لا نكاد نرى بعضنا البعض من كثرة الدخان.

- كارح كارح. موهئال موهئيل.

كنت أريد أن أقاطعه قائلًا:

- هل أغلق النور؟

ولكني آثرت الصمتَ حتى ينتهي.

- سيغلق من تلقاء نفسه.

قالها الساحر، لا أعرف، هل سمع أفكاري، أم هذه الكلمات جزءٌ من الطلاسم!

ثم قال:

- أقسمت عليكِ بـ "الأولين والآخرين" أن تظهري يا زيتونة يا بنت ميمون.

هنا اضطربت أنوار الشقة، ثم انطفأت من تلقاء نفسها.

بالرغم من أن الجو كان معتدلًا، إلَّا أنني شعرت بحرارةٍ تكاد تحرق جسدي هبَّت مرةً واحدة.

ورائحةٌ كبريتية ملأت الصالة.

الغرفةُ مظلمةٌ، ولكني شعرتُ بحضور شيءٍ طغى على المكان.

بالطبعِ تظنون أنني أيقنت بوجودهم المادي؟

لا، ليس الآن، فأنا لم أرَ شيئًا بعيني.

أمسكت يدٌ بمعصم يدي، ظننت أن العفريتة حضرت، فسرت قشعريرةٌ باردةٌ في جسدي كله، وكدت أصرخ بأعلى صوتي، ولكن عندما عاد النور رأيت أن عماد ممسكًا بيدي.

وأنه لم يحضر شيء.

شتمت عماد في سري بمجموعةٍ حديثةٍ من الشتائم التي تخص الأم، ولكني لن أكتبها هنا من أجل الرقابة.

علامات الدهشة والاستغراب بدت على وجه الساحر، فكرر الساحر:

- أقسمت عليكِ بـ "الأولين والآخرين" أن تظهري يا زيتونة يا بنت ميمون.

ثم علا صوته أكثر قائلًا:

- أقسمت عليكِ بـ "الأولين والآخرين" أن تظهري يا زيتونة يا بنت ميمون. أقسمت عليكِ بـ "الأولين والآخرين" أن تظهري يا زيتونة يا بنت ميمون.

ثم هدأت نبرته، واحمر وجهه، وقال كأنه يترجاها ويتوعدها في نفس الوقت:

- أقسمت عليكِ بـ "الأولين والآخرين" أن تظهري يا زيتونة يا بنت ميمون.

نظرت لياسين بتشفٍّ، وكادت أن تفلت مني ضحكة، ولكني تماسكت كي لا أحرج مبروك.

في ذاك الوقت قررت التحدث فقلت:

- ما اسمها يا مبروك؟

- زيتونة.

قلت ساخرًا:

- يبدو أن أحدهم أكلها في الطريق.

فضحك عماد بملء فمه، بينما ياسين ابتسم بطرف فمه، أمَّا الساحر فقد كان في حالةٍ من الخجل أتمنى من الله أن لا يضعني بها.

آدم في شقته

بعد أن رحلوا توجه آدم إلى النافذة، فتحها كي يغير هواء الشقة التي عبقت برائحة البخور.

وقف يشاهد القمر المكتمل الذي يزين السماء المليئة بالنجوم، والبخور يمر بجواره تاركًا مجالًا للهواء النقي باحتلال الشقة.

بعد أن تأكد آدم من خروج دخان البخور من الشقة، استنشق كميةً كبيرةً من الهواء النقي، وملأ رئتيه، ومن ثم أغلق النافذة.

التقط هاتفه وكتب منشورًا على (فيس بوك) حكى فيه كل ما دار منذ قليل، من البداية حتى النهاية، وعلى وجهه علامات الانتصار، ذهب إلى السرير، وجلس عليه بعد أن أمسك بروايةٍ كان قد تركها عليه، قرأ منها قليلًا ثم توجه للحمام؛ ليأخذ حمامه المعتاد قبل أن ينام.

بعد أن خرج من الحمام، فتح الثلاجة، أخرج منها زجاجة مياه تجرع نصفها ثم أعادها للثلاجة.

همَّ أن يغلق الباب، ولكن تيبست يده على المقبض، وتجمد باقي جسده؛ لسماعِهِ صوت باب غرفة نومهِ يُفتح من تلقاء نفسه.

هنا كاد قلبه أن يتوقف، فهو بمفرده في الشقة، وصوت خطوات تتقدم نحوه، هل ينظر، أم يظل على حالهِ وينتظر ما سوف يحدث له؟!

الخطوات تقترب أكثر، ضربات قلبه تزداد.

أحيانًا عاقبة القرار أخطر من القرار نفسه، عقله وكأنه انقسم نصفين، نصف يريده أن ينظر خلفه، والنصف الآخر يقنعه أن يظل واقفًا كما هو، ويحدث ما يحدث.

الخطوات أصبحت على بعد مترٍ واحدٍ منه.

قال في نفسه:

– وقوع البلاء أفضل من انتظاره.

اتجه برقبته للخلف؛ ليجد منظرًا لم يتوقعه أبدًا.

فتاةٌ صغيرة ترتدي جلبابًا أبيض، وجهها لا يظهر منه شيء؛ لأن شعرها المشعث منسدلٌ عليه.

– ماما أعطتني مفتاح شقتك، وأخبرتني أن أرتب لك الشقة، ولكني غفوت قليلًا في غرفة نومك.

قالتها له أخته الصغيرة، بعد أن أبعدت شعرها وبانت ملامحها وأثر النوم على وجهها.

كاد أن يصفعها، ولكنه تمالك نفسه وربت على كتفها بعنفٍ وقال:

- حسنًا، انزلي أنتِ الآن.

يبدو أن ما مرَّ به اليوم قد أنهكه، ما إن وضع رأسه على الوسادة حتى راح في سباتٍ عميق.

استيقظ حوالي الساعة الثالثة ليلًا، شعر بأنه يريد أن يفرغ مثانته.

قام من على السرير وتوجه إلى الحمام، ولكنه لم ينظر إلى الستارة، ومن حسن حظه أنه لم ينظر إليها.

فإذا نظرَ إليها سيجد تجسدٍ لشخصٍ مختبئٍ خلفها.

دلف الحمام وما إن انتهى وأغلق الصنبور حتى شمَّ الرائحة الكبريتية نفسها التي شمَّها أثناء التحضير، لكنه توقع أن تكون باقي آثار البخور الذي استخدمه مبروك.

بمجرد خروجه من الحمام سمع صوت الصنبور يُفتح من جديد.

تكلم مع نفسه:

- هل أغلقته؟ هل تركته مفتوحا؟ لا أعرف.

فأثناء استيقاظك من النوم تفعل أشياءَ ولا تدري هل فعلتها أم لا؛ لأن عقلك يكون في شبه غيبوبة.

المهم أنه راح للحمام وقفل الصنبور، وقبل أن يخرج تأكد أنه أحكم إغلاقه.

ما إن وضع جسده على السرير حتى عاد صوت الماء مرةً أخرى، هنا ارتعش جسده وانتصب شعر يده. فكر مع نفسه هل يذهب للحمام أم لا؟ فلو لم يذهب سيُفرغ الخزان صباحًا.

رد على نفسه:

- وما المانع نملأه مرةً أخرى.

أثناء حديثه مع نفسه انقطع صوت المياه، فحمد الله بصوتٍ عالٍ، فعاد الصوت مرة ثالثة وانقطع، ورابعة وخامسة وسادسة.

كاد شعره الأسمر أن يتحول للون الأبيض من فرط الخوف والرعب، لم يقوَ على فعل شيءٍ إلَّا أن استلقى على السرير وهو يرتعش ساحبًا الأغطية على جسده كله حتى رأسه لم يظهر منه شيء.

- كيف حالك؟

سمع هذا الصوت الأنثوي وهو يدفن نفسه تحت الأغطية، فازدادت رعشة جسده.

فكر أولًا أن تكون أخته الصغيرة، ولكنه أخرجها من الشقة بنفسه، وحتمًا لن تعود مرةً أخرى، وثانيًا هذا الصوت ليس صوت طفلةٍ صغيرة، بل صوت امرأة في الشباب.

- كيف حالك؟

كررتها مرة أخرى.

لو نظرت من خارج الأغطية سترى اهتزازاتٍ كأنك تشاهد زلزالًا بقوة خمسة ريختر، أمَّا لو نظرت من الداخل ستجد أن العرق يخرج من آدم كالشلال مبللًا ملابسه والسرير أيضًا.

- لا تخف! فأنا لن أؤذيك.

قال آدم بصوتٍ متقطع مرتعش:

- ممنن أأأانتتتِ أأاوولًا؟

قالت بصوتٍ جميلٍ لم يسمع مثله من قبل:

- أنا زيتونة بنت ميمون.

انتفض جسده من سماع هذا الاسم، وزادت ضربات قلبه حتى كاد أن يتوقف وقال:

- أنتت كاذبهة لمم يحضضرر أأأحدد.

قالت:

- مبروك أحضرني ولكن عندما قرأتُ ما يدور بعقلكَ، وعرفتُ أنك تنكر وجودنا المادي، وأن هذا الأمر تحدٍّ بينك وبينه قررتُ أنني لن أظهر؛ لأنني لو ظهرت ورأيتني أنت وأصدقاؤك سيصرفني بعدها، ولن أستطيع التحدث معك.

– ولماااااذا تريدين التحدددث ممعي ممن الأساسس؟

قالت بنفاذ صبر:

– من المفترض أنك أنت الذي تريد التحدث معي، ولست أنا، أنت تنكر وجودنا المادي وها أنا أتحدث معك، هيا اخرج من مخبئك هذا، وإلَّا سأخرجك أنا.

انكمش على نفسه داخل الأغطية في وضع طفلٍ حديث الولادة، وأمسك الأغطية جيدًا بكلتا يديه وكأنه ظن أنها ستسحبها من فوقه وقال:

– سأخرج ولكن عِديني أنكِ لن تؤذيني؟

– ولماذا أؤذيك؟

أمسك آدم الأغطية وأزاحها قليلًا وتوقف ولم يظهر من جسده شيء حتى الآن.

وبعد ثوانٍ سحبها قليلًا، وإلى الآن لم يظهر منه شيء.

اعذره يا صديقي؛ فهو عندما يرفع الغطاء لن يجد نانسي عجرم أو هيفاء وهبي إنه سيجد عفريتة.

شعرت زيتونة بأن أعصابها ستنفلت منها، ففزعت فيه قائلة:

– إذًا دع الأمر لي.

- لا لا، سأخرج أرجوكِ لا تقتربي مني. نحن أناسٌ طيبون نتوارى من الجن والعفاريت تحت الأغطية على أساس أنهم لن يستطيعوا أن يؤذونا.

أخيرًا وبعد طول انتظار أخرج آدم رأسه؛ ليرى أجمل وجهٍ رآه في حياته.

لم يصدق في البداية أنها عفريتة، فهو يظن أن منظر العفاريت بشعٌ ومرعب كما شاهدهم في أفلام الرعب.

كان يعتقد أنهم بقرونٍ، والدماء تقطر من أفواههم، ولهم أسنان مدببة وذيول يتلوى خلفهم.

الشيء الوحيد المتشابه بين صورتهم في الأفلام وصورتهم الحقيقية هو أن أذنيها كالقطط، وعينيها أيضًا مشقوقتان بالطول كالقطط.

ولكن هذا لم يقلل من حسنها، بالعكس أنه كان يضفي على جمالها جمالًا آخر.

كانت عيناها واسعتين كالغزلانِ، ووجه أبيض كالحليب وشعر ناعم كزيل الحصان.

- آدم!

قالتها زيتونة لتخرجه من شروده.

فرد آدم مشدوها:

– اعذريني، فلم أرَ جمالًا وحلاوةً بهذا الشكل، من المفترض أن أخاف منكِ فأنتِ عفريتة، ولكن جمالك كالخمر جعلني أنسى الخوف.

قالت زيتونة بخجل:

– أأسمي هذا مغازلة؟

قال آدم:

– لا والله، ليست مغازلة فهذه حقيقة.

تقدمت زيتونة وجلست بجوارهِ، فأسرع آدم واعتدل على السرير.

قالت له:

– هل تؤمن الآن بوجودنا المادي؟ أم مازلت لا تصدق؟

وضع آدم أصابع يديه الاثنين مقابل بعضهم ملامسين الأطراف فقط أمام صدره وقال:

– عندي مبدأ، لا أقتنع بشيءٍ حتى أراه. أكذب لو قلت أنني كنت غير مؤمنٍ بوجودكم المادي مئة بالمئة.

كثرة الجلوس مع أصدقائي ومعارفي والكلام عن هذا الموضوع، والقصص التي كانوا يحكونها لي جعلتني في الفترة الأخيرة في حيرةٍ من

أمري. حتى عندما أخبرني صديقي ياسين أنه سُيحضر مبروك وافقته على الفور لكي يطمئن قلبي.

ثم أكمل وكأنه تذكر شيئًا:

- ولكن ألا تخافي من مبروك عندما يعلم ما فعلتيه معه؟

ردت زيتونة:

- مبروك قلبه طيب لن يفعل شيئًا، ما رأيك أن تأتي معي إلى عالمنا؟

قالتها زيتونة بعد أن قامت وتوجهت صوب التسريحة، وملَّست بيدها على شعرها.

انقبض قلب آدم، وقبل أن يتكلم قالت:

- أرجوك اقبل، أنا أعرف أنك خائف، ولكن صدقني لن يحدث لك أي مكروهٍ، فأنت معي وعائلتي سترحب بك، وبالأخص عندما يعرفون أنك مسلم مثلنا.

قال آدم بدهشة:

- أنتِ مسلمة؟

أشارت بإيماءةٍ من رأسها وأكملت:

- نعم، أنا من نسل الميامين. منهم الملك ميمون أبانوخ، وميمون

السحابي، وميمون السياف، وميمون الغواص، وميمون الغمامي، والكثير منهم.

- هل ميمون الغواص سُمِّي بهذا الاسم، لأنه غواص أم هذا لقب؟

- نعم، سميَ بهذا الاسم لأنه غواص، فمنذ قديم الأزل كانوا يغوصون ليستخرجوا الياقوت واللؤلؤ من أعماق البحار والمحيطات لسيدنا سليمان.

وأكملت زيتونة:

- لم ترد على سؤالي؟

ارتبك آدم وقال:

- أريد أولًا أن أسألَكِ بعض الأسئلة؟

هزت زيتونة رأسها بالنفي، وقالت:

- كل ما تريد معرفته ستراه بعينيك.

تأكد آدم أنه محاصرٌ، ولا يستطيع الإفلات.

خائفٌ بعض الشيء، ولكن هذا لا يمنع من بعض الفضول، الفضول الذي أكل القط.

هو يحب المغامرة، ولكن هذه المغامرة ستكون من نوعٍ آخر، تجربة

جديدة لم يمر بها.

كان كل ما يعرفه عن عالم الجن مجرد كلمات قرأها في رواية أو على مواقع التواصل الاجتماعي، أو الكتب التي تتكلم عنهم، أو القصص التي كان يستمع لها من أقاربه وأصدقائه، فكر كثيرًا، وفي النهاية قرر الذهاب معها إلى عالمها، ولكن كيف؟

ماهي الآلية التي ستدخله بها عالمها؟ هل تعويذة؟ هل ستضع يدها على رأسه وتخرج منها سحرًا؟

وضعت زيتونة يدها داخل ملابسها وأخرجت قنينةً صغيرةً بها سائل أحمر، شكله غريب، هيئته غريبة، لم يرَ سائلًا مثله، كأن السائل به روح، يتحرك كأمواج البحر المتلاطمة.

بيدٍ مرتعشةٍ أمسك آدم القنينة وقرَّبها من فمه.

لو تعمقت داخل عقلهِ ستجد أنه يفكر ألف مرة، قبل أن يتجرع هذا السائل.

قالت زيتونة وهي تحثه على الشرب:

- اشرب، لا تخف.

وضعها على فمه، ورفعها لأعلى، فراح السائل الأحمر ينساب داخل فمه.

عندما تغلغل السائل لجسده، كان ينير كل منطقةٍ يمر بها حتى أنار جسده بالكامل باللون الأحمر.

سألته زيتونة:

– هل تشعر بشيء؟

– أحس وكأني أطفو على الماء، لا أشعر بجسدي.

– هل ترى شيئا؟

– لا، إلى الآن لم أرَ أي شيء، ولكني أرى الأشياء تحولت إلى اللون الأحمر قليلًا.

فقالت له زيتونة:

– نعم، لأنك لكي ترى الجن والعفاريت لابد أن ترى الأشعة فوق الحمراء.

أمسكت يده وقصدت النافذة، كانت تخترق الأشياء، وكان خائفًا أن يتعثر بشيء، لكنه وجد نفسه ينفذ من الموجودات هو الآخر، فتحت النافذة، فشاهد منظرًا لم يتخيل أن يراه من قبل.

اندهش وكادت عيناه أن تخرج من مكانهما، وظنَّ أنه يحلم، فنظر على يساره؛ ليتأكد من وجود زيتونة.

فوجود زيتونة بجواره هو الدليل الوحيد أنه يقظ الآن.

عاد بنظرِهِ للخارج مرةً أخرى وطالع المنظر الذي لم يرَهُ في أحلامهِ، أو حتى في كوابيسه.

جنٌ يطير في السماء، وعفاريت تمشي على الأرض، وبعض الأشخاص يسيرون في الشارع، يركب فوق كتفهم جني وأشخاص يسيرون وخلفهم جني.

جن وعفاريت بأحجام مختلفة، منهم مَن طوله مثل برج الجزيرة، ومنهم طوله مثل عمارة عشرة أدوار، وأيضًا منهم من طوله مثل البشر وأقل من منهم.

أشكال غريبة، أحدهم رأسه أكبر من جسده، وأحدهم يمشي مثل القرد على يديه، وآخر قبيح وثانٍ مثلنا في كل شيء.

كاد آدم أن يقع مغشيًا عليه من الصدمة.

– سأريك مفاجأةً أخرى.

قالتها زيتونة وهي تولي ظهرها له، فتبعها آدم وقال:

– ما هي؟

ردت زيتونة:

– هل تعلم أن هناك جنيًا يعيش معك بالمنزل؟

من الطبيعي أن تظهر على وجه آدم علاماتُ الخوف مما سمع، ولكن

هل يخاف من شيءٍ بعد ما رآه من النافذة؟

أكملت زيتونة:

- إنهم عُمار المنزل، لا يوجد بيت في بني البشر يخلو منهم. لهم ملك يسمى طارش، هذا الملك لا ينزل على الأرض، ولكنهم هم من يصعدون إليه. ولكن لا تخف منهم إنهم مسالمون لا يأذون أحدًا. صفقت زيتونة بيدها؛ فاخترق حائط الغرفة جني وزوجته واثنان من الأبناء الصغار، يرتدون ملابس تشعرك أنهم لم يواكبوا الموضة.

قال الجني:

- السلام عليكم.

ردت زيتونة:

- وعليكم السلام.

كان آدم واقفًا مذهولًا، لا يقوى على الكلام.

فكر مع نفسِه، جن يعيش معي بالمنزل، ويشاركني حياتي اليومية.

نظرت زيتونة لآدم نظرة تأنيبٍ؛ لأنه لم يرُد السلام فتدارك الموقف وقال:

- أهلًا بك.

تعرف آدم على الجني وزوجته، وأخبره أنهم هنا في المنزل منذ أن وضع جد آدم والد أبيه أول طوبةٍ به، وأخبره عن قبيلته وأشياء كثيرة.

قالت زيتونة لآدم:

- والآن حان وقت المغامرة الكبرى.

لم يعترض آدم؛ لأنه تشوق أن يرى عالمهم بعد كل ما شاهده.

ظن آدم أنه سيستغرق الكثير من الوقت للولوج لهذا العالم الجديد، ولكن ما إن أمرته زيتونة أن يغلق عينيه ويفتحهما وجدَ نفسه هناك.

في البداية اعتقد أنه يشاهد فيلمًا للخيال العلمي أو فيلم رعب، كان تارةً يظن أنه يحلم، وتارةً أخرى يعود مندهشًا مما يرى أمام ناظريه.

عالم مثل عالم البشر، ولكنه مختلفٌ بعض الشيء

انتظر قليلًا، لا.. هذا ليس بار تحميل لعبة بلاي ستيشن، إنه عقل آدم يبرمج ما يراه.

عفريت مثل العفاريت الذي رأى منهم كثيرًا، ولكنه يركب فأرًا.

نعم، كما سمعت، فأر بحجم حمارٍ صغير، يمطتيه العفريت ممسكًا بلجام ملفوف حول فمه.

وجَّه نظره لزيتونة، فردت عليه وكأنها قرأت تعابير وجه:

- نحن لنا دواب مثلكم نقضي بها حوائجنا.

مشت فمشى خلفها، حتى وصلت إلى منزلٍ غريب الهيئة يشبه المنازل القديمة المبنية بالطوب الطيني.

طرقته، ففتحت لها الباب أمها، دلفت وخلفها آدم.

قالت زيتونة لأمها:

- هذا آدم إنسيٌّ، وسيجلس معنا يومًا أو يومين.

قالت الأم بودٍ:

- على الرحب والسعة.

- أين جدي؟

قالتها زيتونة وهي تتجه لغرفة جدها.

فسمعت صوتًا يبدو لعفريتٍ كبير السن من الداخل يتخلله رهبة:

- أنا هنا يا صغيرتي.

هرولت لداخل الغرفة، ومازال آدم يسير خلفها.

احتضنت العفريت البادي عليه كبر السن بلهفةٍ وشوق.

كان عفريتًا ذا لحيةٍ بيضاء طويلة، ظاهرًا على وجهه الهيبة، جالسًا على مقعدٍ خشبي، وبجواره عصًا من الواضح أنه يتكئ عليها عندما

يسير.

قالت زيتونة:

- ما أخبارك يا جدي؟

رد الجد بصوتٍ حنون:

- الحمد لله يا صغيرتي.

نظر إلَيَّ وأكمل: هل عندنا ضيوف؟

ردت زيتونة بصوتٍ مبتسم:

- نعم يا جدي.

- آدم، اسمه آدم، من عالم البشر، صديق الشيخ مبروك.

- ولماذا حضرَ هنا؟

بصراحة يا جدي هو يؤمن بوجودنا، ولكنه لا يؤمن بأن لنا عالمًا خاصًا، نأكل ونشرب ونتزاوج مثلهم.

في هذا الوقت أحنى آدم رأسه في خجلٍ، ولم ينبس ببنت شفةٍ.

قال الجد:

- اذهبي أنتِ واحضري الطعام مع أمك، واتركينا نجلس أنا وآدم نتسامر قليلًا.

ذهبت زيتونة وتركتهم، بدأ الجد في الكلام قائلًا:

- الجن عالمٌ آخر غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفةِ العقل والإدراك ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر. وسمّي عالمنا بالجن لاجتنناهم، أي استتارهم عن العيون (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) سورة الأعراف. خلقنا من النار لقول الله (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) سورة الحجر. وفي سورة الرحمن (وخلق الجان من ماردٍ من نار)، والمارج من نار هو طرف اللهب. ويوجد حديث عن عائشة عن النبي قال: خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم.

لا شكَّ بالطبع أن خلق الجن متقدمٌ على خلق الإنسان لقولِه تعالي: (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم). لا مجال يا آدم للتكذيب بعالم الجن: أنكرت قلة من الناس وجود الجن إنكارًا كليًا وزعم بعض المشركين أن المراد بالجن أرواح الكواكب، وزعمت طائفةٌ، من الفلاسفةِ: أن المراد بالجن نوازع الشر في النفس الإنسانية وقواها الخبيثة، كما أن المراد بالملائكة نوازع الخير فيهم. وزعم البعض أن الجن هم الجراثيم والميكروبات التي كشف عنها العلم الحديث. وغاية ما عند هؤلاء المكذبين أنه لا علم عندهم بوجودهم وعدم العلم ليس دليلًا. وسيء هو العقل ينفي

الشيء لعدم علمه بوجوده. هل عدم سماعنا للأصوات التي يعج بها الكون في كل مكان دليلٌ على عدم وجودها؟

كان آدم يسمعه بآذان صاغية احترامًا وتقديرًا لهيبته ووقاره، لم يقاطعه ولم يجادله، فآدم كان مثل الوعاء الفارغ الذي يملأه هذا الحكيم بعلمه.

جاءهم صوت زيتونة من الخارج.

– لقد أعددنا الطعام يا جدّي، هل نأتي به؟

– نعم، يا زيتونة لقد انتهينا.

دخلت زيتونة بالطاولة، وضعتها على الأرض وذهبت لتحضر الطعام.

وآدم ينتظر متشوقًا ليرى ما هو طعامهم، كان يريد أن يسأل الجد، ولكنه فضَّل الصمت، عاجلًا أم آجلًا سيعرف.

دلفت زيتونة بأطباق الطعام، وضعتها، كانت أربعة أطباق طبق به لحم، وثان به عظم، وآخر به أرغفة الخبز، وآخر به سائل غريب يبدو مثل الملوخية، ولكن لونه أحمر وبه قطع من شيء لا يعرفه.

قام الجد من على المنضدة التي يجلس عليها وجلس أمام المائدة، وأمسك برغيف خبزٍ قسمه وقال:

– هيا يا آدم تقدم لتأكل معنا؛ ليصبح بيننا عيش وملح كما تقولون.

لم يتردد آدم واقترب من الطبلية، كان نظره مصوبًا للطبق الذي يحوي العظام.

قرَّب الجد طبق اللحم من آدم بينما أخذ طبق العظام وراح يأكل بنهمٍ منه، وقال وهو يلوك الطعام بفمه:

– لا تستغرب يا آدم، نحن عالم الجن نأكل العظام ولا نأكل اللحم؛ لقول الرسول لأصحابه: (لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنه زاد إخوانكم من الجن).

قال آدم مستفسرًا:

– اسمح لي يا جدي، من أي نوعٍ هذا اللحم؟

ابتسم الجد بطرف فمه وقال:

– لحم غزال.

فاطمأن قلب آدم وأمسك قطعة من اللحم ووضعها في فمه.

صوب آدم نظره ناحية السائل الأحمر وكان ينتظر الرد من الجد كما عوَّده بأن يرد على أسئلته قبل حتى أن يسألها، ولكن هذه المرة قال الجد:

– لن أخبرك بنوع هذا الطعام قبل أن تتذوقه بنفسك.

التقط آدم رغيفًا من الخبز، وأخذ منها كسرة ووضعها في هذا السائل؛ ليتغير لونه إلى اللون الأزرق، وما إن رفع الخبز مرة أخرى وبه قطعة من الشيء الذي لا يعرفه حتى عاد السائل للونه الأحمر، وضع اللقمة في فمه وهو مطمئن لأنه يعرف أن زيتونة وجدها لن يضروه.

تغيرت ملامح وجهه وأحسَّ بانتشاءٍ، وبطعم جميل وغريب لم يتذوقه في حياته، رجح أن يكون هذا طعامٌ من البحرً؛ لأن رائحته مثل الأسماك.

من أجمل الأشياء أن تغامر وتجرب أشياءَ لم تجربها من قبل؛ لأنك ستضيف إلى حياتك شعورًا جديدًا لم تشعر به؛ مثل الذي لا يجيد السباحة وبعد أن تعلمها وجد لذةً في اختراق أمواج البحر.

قال له الجد:

- ما رأيك؟

أجاب آدم والطعام ما زال في فمه:

- طعمه لذيذٌ جدًا!

رد الجد:

- هذا الطعام من قاع البحر، لا يحضره إلَّا الجن الغواصون، يغوصون في أعماق البحار والمحيطات ويجلبونه. إلى الآن لم يستطع بنو

البشر الوصول إلى هذه الأنواع من الأسماك!

***

-الصدمات-

بعد أن انتهينا من الطعام أخبرتني زيتونة أننا سنذهب إلى مكانٍ سيوضح لي بعض ما كنت أشك فيه، ومن ثم ستأخذني إلى مكانٍ آخر قالت إنه سيدهشني وأنني لم ولن أرى مثله في حياتي، فانصعت لها.

في طريقنا قالت لي زيتونة:

- سنذهب عند أحد الرجال في عالمكم من الذين باعوا آخرتهم، وتعاونوا مع الشيطان، رجلٌ من بني البشر، ولكن قلبة أسود، رجلٌ يصنع الأعمال لإيذاء البشر، ويسلط عليهم الجن لكي يفسدوا عليهم حياتهم ويطلق هذه، ويجعل هذا مجنونًا، وأردفت، لا تخَف، لن يرانا أحدٌ ـ فنحن سندخل عنده بجسدنا الأثيري.

وافقتها على الفور، فأنا منذ زمنٍ أريد أن أشاهد جلسات تحضير الجان.

في مدخل منزل هذا الشيطان وجدت الكثير من مريديه، وكان أكثرهم من النساء، يجلسون على الكراسي، ينتظرن أدوارهم، لم نلتفت لهم، ولكننا تقدمنا صوب غرفة هذا الشيطان.

كان كما تروهم في الأفلام، عمامة متسخة وملابس كثيرة فوق بعضها، غير مهندمة، أمامه مبخرة كبيرة مشتعلة، كلما ألقى فيها البخور ازدادت اشتعالًا.

أمر خادمه أن يسمح للعميل بالدخول بينما هذا الشيطان دخل الحمام ليقضي حاجته.

هنا كانت المفاجأة أو الصدمة؛ فالعميل كان زوجة عمي وبنتها سناء.

سناء كانت ترتعش، ولكن زوجة عمي كانت تحثها على الدخول، عندما جلسوا على الكراسي قالت سناء لأمها:

- يا ماما لقد أخبرتك أن هذا الطريق نهايته موحشة.

فقرصتها زوجة عمي في كتفها بغلٍ وقالت:

- لقد قلت لكِ أن توقعيه في حبك وأنت لم تستطيعي.

- يا ماما الحب ليس بالإكراه؛ فأنا أحبه بصدق ولكنه لا ينظر لي من الأساس هو يعاملني كأخته.

- كل هذه الأموال والعز نحن من كان يستحقه.

- يا ماما أبي هو من رفض مشاركة عمي، فكيف تكون أموالهم لنا.

قالت زوجة عمي وقد أنتفخ وجهها أحمرارًا:

أصمتي أيها الحمقاء

هنا جاء الشيطان، وجلس على مقعدهِ وقال: - أخبريني يا أم سناء، ماذا تريدين هذه المرة.

قالت زوجة عمي:

- العملُ الذي صنعته لي المرة الفائتة نتائجه مبهرة، فياسمين وزوجها دائمًا يتشاجرون على أتفه الأسباب، باقي القليل وينفصلوا عن بعضهم، إنما هذه المرة أريد عملًا يجعل آدم لا يرى إلَّا ابنتي سناء، أريده أن يتزوجها في أقرب وقت.

- كل طلباتك مجابة يا أم سناء.

وأخرج من جيبة حجابًا، وأكمل:

- ضعي هذا الحجاب في غرفة نومه.

شعرت بغصةٍ في حلقي، بنارٍ تأكلني من الداخل، أردت أن أذهب إليها وأصفعها ألف صفعةٍ على وجهها، زوجة عمي!

من تدخل منزلنا وتتظاهر بأنها تحبنا هي من تفسد علينا عيشتنا، الطعنات القريبة أشد وطأةً وأشد عمقًا من الطعنات البعيدة؛ لأنها أكثر تركيزًا.

قلت لزيتونة:

- أريد الذهاب.

قالت:

- انتظر، فالحالة القادمة هي من سيحضر لها هذا الشيطان الجن.

أصررت على الانصراف، فوافقت زيتونة، أجلستني على ضفاف بحر لونه وردي، كان السمك يتراقص فوق البحر كراقصي الباليه وقالَت:

- هذا المكان الذي أخبرتك عنه.

نظرت إليها وكنت أحاول طرد مشهد زوجة عمي من عقلي وقلت:

- ما هذا الجمال والروعة؟!

قالت زيتونة بعزة:

- أشياء لن تجدها إلَّا هنا.

قلت لها مغيرًا دفة الحديث:

- ماذا لو أردت الذهاب إلى عالمي في وقتنا هذا، هل يجوز؟ وما الوقت الذي سأقطعه في الطريق؟

قالت زيتونة:

- بالطبع يجوز أن تذهب إلى عالمك ولكن لن يرك أحد؛ لأنك

الآن بجسدك الأثيري، أمَّا المدة هي مجرد عزمك في الذهاب إلى مكانٍ ستذهب إليه في لمح البصر.

زينت الفرحة ملامحي؛ لأنني أريد أن أذهب وأرى أمي وأختي وحبيبتي، أظن أنكم قد نسيتم حبيبتي، أمَّا أنا فلم أنسها لحظةً واحدة؛ فهي منقوشةٌ على قلبي و عقلي.

أخبرت زيتونة أنني سأذهب عشر دقائق لأرى أصدقائي ماذا يفعلون من دوني.

في عجالةٍ سريعة شاهدت أمي وهي تتابع أحد المسلسلات الهندي بينما أختي الصغيرة كانت تلعب بدميةٍ تمتلكها، ثم انطلقت إلى منزل حبيبتي، كانت نائمةً مثل الملائكة، كقمرٍ في يومه الرابع عشر.

بالرغم من أنها بدون مساحيق التجميل وبملابس النوم التي كانت تظهر نصف نهديها، مددت يدي؛ لكي أتحسسهما فاخترقت يدي جسدها بالكامل فتذكرت كلمات زيتونة أنني بجسدي الأثيري.

دق جرس هاتفها، فانتفض جسدي وعدت للخلف؛ فاستيقظت حبيبتي وتثاءبت، فوضعت يدها على فمها، ومن ثم أمسكت الهاتف ووضعته على أذنها، فسمعتها تقول:

- بخير يا حبيبي، رحت في غفوةٍ صغيرة.

قلت في نفسي: حبيبي!! ألديها حبيبٌ غيري؟! أم أنني ذهبت بجسدي الأثيري وتركت جسدي المادي يعمل هو الآخر؟!

- سأرتدي ملابسي وأحضر إليك.

قالتها حبيبتي وهي تنزل من على السرير.

خلعت قميص النوم وارتدت آخر لونه أسود، ثم باقي ملابسها.

لم يشغل بالي جسدها البض ولا جمال قوامها، ولكن كان شغلي الشاغل من الذي ستقابله الآن.

هبطت درجات السلم وأنا خلفها، أطفو فوق الأرض.

أوقفت سيارة أجرة، ثم دلفت إليها، توقفت السيارة في آخر مكانٍ كنت أتوقع أن تقف به.

إنه منزل صديقي ياسين، خرجت من السيارة، وأعطت السائق النقود، ثم أخرجت الهاتف واتصلت بنفس الرقم الذي كان يهاتفها، فنظر ياسين من شرفة منزله وأشار إليها أن اصعدي.

صعدت درجات السلم، أو بالمعنى الأدق صعدت على قلبي، فكل خطوةٍ كانت تخطوها كانت بمثابة دهسةٍ على قلبي الجريح الذي ينزف.

فتح لها ياسين الباب، وما إن دخلت حتى أغلق الباب واستقبلها بحضنٍ حارٍ جدًا.

قال ياسين:

- تأخرتِ!!

- مسافة الطريق.

- أنا مشتاقٌ إليكِ.

فقالت وهي تجلس على الأنتريه:

- ألم أكن عندك منذ أسبوع؟

فجلس بجوارها وقال:

- أريدكِ بجواري طول الحياة.

فقالت:

- اطمئن عندما سأتزوج من آدم سيكون عندك الحجة أن تأتي لكي تراه أو بالمعنى الأصح تراني.

فانفجر الاثنان من الضحك.

قالت:

- توجد مفاجأة ستراها الآن بعد أن تغمض عينيك.

أغمض ياسين عينيه، فخلعت ملابسها، وأبقت قميص النوم وأمرته أن يفتح عينيه.

اندهش عندما رأى قميص النوم الذي يبدو أنه أهداها إياه، قبل أن يتكلم سبقته قائلةً:

– أردت أن تكون أنت أول شخصٍ يراني بقميص النوم هذا.

فقاطعها ياسين قائلاً:

– ولكن ماذا لو علم آدم ما بيننا؟

مطت شفتيها وقالت:

– لا تخف، فآدم يحبني بجنون، أنا بالنسبة له الهواء الذي يستنشقه، لا يستطيع الاستغناء عني مهما حدث.

وأشارت بيدها ثم قالت:

– ثم ومن أين سيعرف آدم ما بيننا؟ هيا هيا لا تدع الوقت يمر بلا فائدة.

احتضن الاثنان بعضهما وتقابلت الشفاه، وتعاركت على معركة للبقاء.

راح يتحسس أماكن من المفترض أنني أنا الذي كنت سأضع يدي عليها.

إلَّا مكانًا واحدًا أخبرته ألَّا يقترب منه: لأنه ملك لي.

أصيلة!

قلبي يتحطم ولا أحد يشعر بي، جسدي يحترق، أشعر بدوار، حبيبتي تخونني ومع من؟ مع صديقي، الدموع مسجونةٌ في عيني، تريد الخروج، ولكن تأبى أن تخرج وترى هذا العار، ترى الخيانة.

وددت لو ذهبت إلى المطبخ وأحضرت سكينًا وقطعتهم إربا؛ لكي أطفئ النار التي انضرمت في قلبي، ولكن كيف وأنا بجسدي الأثيري.

حبيبتي التي لم أخبركم باسمها إلى الآن، تخونني.

كنت أغار عليها من أن تعرفوا حتى اسمها

الآن وبعد ما شاهدت..

اسمها سهام، تسكن في المعادي، شارع أحمد كامل، شقة رقم١٥.

عدت إلى عالم زيتونة أجر أذيال الخيبة والخيانة، ولكني لم أجدها في المكان الذي تركتها فيه فساورتني الشكوك.

أين ذهبت زيتونة؟! هل عادت للمنزل؟! هل تتمشى قليلًا ريثما أعود؟! فكرت أن أعود لمنزلها، ولكني قررت أن أنتظر قليلًا.

جلست أشاهد غروب الشمس؛ لكي أنسى الخيانة، ولكن عقلي كان يعيد كل منظر شاهدته أمامي كشريط فيديو، طال الوقت ولم تحضر زيتونة، الأمر أصبح مريبًا.

عدت إلى المنزل وقبل أن أدخل استقبلني نواح أم زيتونة التي تجمع باقي القبيلة حولها وهي تقول:

- أريد ابنتي، أحضروها لي قبل أن يفعل بها شيئًا.

هي ابنتي الوحيدة ولو حدث لها مكروهٌ سأقتل نفسي.

فهرولت ناحية الجد وقلت بصوتٍ لاهث:

- ماذا حصل؟ وأين زيتونة؟ ومن هو الذي سيفعل بها شيئا؟

فأخبرني أنه توجد عداوة بينهم وبين قبيلةٍ أخرى تدعى قبيلة الفيلة، من الجن الكفار عندما أراد زعيمهم أن يتزوج من زيتونة، ولكنهم رفضوا؛ لأن دين الإسلام لا يقبل أن تتزوج مسلمة من كافر، ولكن زعيم هذه القبيلة أصرَّ وتقدم أكثر من مرة ونحن نرفض، وفي النهاية أخبرنا أنه سيتزوجها برضانا أو غصبًا عنَّا، حتى لو كانت الحرب حلًا من الحلول، فأصبح كل فترةٍ يرسل بعض جنوده، يقتلون رجالنا، ويستحيون نساءنا، كلما زاد بطشه زادت عزيمتنا، حاولنا معهم بكل ما استطعنا من قوة، ولكن هم أكثر منَّا عدة ونفرًا، وفي النهاية عندما اقتنع أننا لن نستسلم قرر أن يخطف زيتونة ويتزوجها سفاحًا.

فقلت له:

- ما اسم زعيم هذه القبيلة؟

قال:

- شرقان بن معدن.

حككت رأسي بيدي، وقلت في نفسي أن هذا الاسم سمعته من قبل أو قرأته ولكن لا أعلم أين!

نظرت للجد وقلت:

- وماذا ستفعلون الآن؟

رد عليَّ والحسرة باديةٌ على وجهه قائلًا:

- لا شيء.

قلت مندهشًا:

- لا شيء! هل ستتركها له؟

- بالطبع لا.

- إذًا هيا بنا لنذهب ونقتلهم جميعًا ونحررها منهم.

- الأمور ليست بهذه البساطة يا فتى! فقد أخبرتك أنهم جبابرة، وأعدادهم كثيرة، زِد على ذلك أنهم قتلوا نصف جنودنا في المعارك معهم، فالصدام معهم الآن هو الهلاك للقبيلة بأسرها كبارها بصغارها بنسائها.

لابد من التفكير في طريقة لإنقاذ زيتونة، بدون أن ندخل معهم في حرب ولكن كيف؟ لا أعرف! يتحتم علينا أن نفكر سريعًا، ثم نظر للحشد.

وأكمل:

- من يتوصل لطريقةٍ يخبرنا، وأنا سأدخل أجلس أنا وقائد الجيش لعل الله يلهمنا كيف ننقذها بأقل الخسائر.

فجأة لمعت عيني وقمت كمن لسعته عقربة وهرولت لداخل غرفة الجد، عندما رآني سألني مذعورًا:

- ما بك؟

- لقد تذكرت شيئًا، ذكرني باسم زعيم هذه القبيلة؟

- شرقان بن معدن.

- كنت أشاهد أحد الأفلام..

فقاطعني قائد الجيش بحدة قائلًا:

- فتاة مخطوفة، وأمام حرب، وتقول شاهدت فيلمًا، ما هذا العبث؟

فقلت بخشونة:

- دعني أكمل، أنا أعلم من سينقذنا من هذه الورطة.

فنظر إليه الجد وأشار بيده - دلالة على أن ينتظر- فزفر القائد زفرةً قوية وصمت، فأردفت:

- كنت أشاهد أحد أفلام الرعب، والبطل أحضر جنيًا ولم يستطع أن يصرفه، هل تعلم من هذا الجني؟

هز الجد رأسه وقال:

- من؟

- شرقان بن معدن.

ابتسم القائد باستهزاء من طرف فمه وقال:

- أنت قلت فيلمًا، يعني ليس حقيقيًا.

- لا يا سيدي، ذكر في نهاية الفيلم أنه مأخوذ من قصة حقيقية.

كان الجد ينظر لنا ولا يتكلم، يريد أن يستمع، ولكن القائد كان يقاطعني كثيرًا.

فقال القائد:

- سنفترض أن الفيلم مأخوذٌ عن قصةٍ حقيقة، ما هي الاستفادة من أن ترويها لنا؟!

فقلت بغضب:

- إذا تركتني أكمل ستعلم ما هي الاستفادة.

أمره الجد أن يصمت.

- شرقان بن معدن كان يقتل من يراه، حتى أحضر أحد ضباط الشرطة رجلًا يدعى الشيخ محمد، والشيخ محمد كان في خدمته ملك من ملوك الجان يسمى أبا محرز الأحمر.

اتسعت عين الجد والقائد معًا، ولكنهم لم ينبسوا ببنت شفة؛ لكي يسمعوا البقية فأكملت:

- فجاء أبو محرز الأحمر، ودخل في صراع مع شرقان بن معدن، ولكن الأخير ولَّى مدبرًا، عندما فقأت عينه، وأيقن أنه هالكٌ لا محالة. فأظن أننا لو تمكنا من الوصول للشيخ محمد وأحضر أبا محرز الأحمر، وأقنعناه أن يكون في صفنا، ستكون الغلبة لنا، ومن المؤكد أنه سيرحب بهذا؛ لأن بينهم ثأر قديم.

- وماذا تريد منا؟ (قالها الجد بلهفةٍ)

- أعيدوني إلى عالمي، وأنا سأتدبر الباقي.

فأعطاني الجد السائل الذي أعطتني إياه زيتونة وقال:

- لا تتجرعه إلَّا عندما تصبح في منزلك.

نظرات الجد والقائد إليَّ كانت تقول إنهم يشكون في أنني أريد أن

أذهب إلى عالمي؛ لكي أتملص منهم وأتركهم بمفردهم في هذه الحرب الشعواء.

فقلت لهم بكل صدق:

- أعدكم أنني سأعود من أجلكم ومن أجل زيتونة.

ودعتهم وعدت إلى عالمي، وبالتحديد إلى غرفتي، أول ما فعلت هاتفت صديقي عماد، وحضر على الفور أخبرته بما حصل من البداية إلى النهاية.

في بادئ الأمر شكَّ في قواي العقلية، ولكني أقسمت له وقلت: (خليك مع الكداب، لحد باب الدار).

شغَّلت جهاز الحاسوب الخاص بي، وفتحت الفيلم المنشود، وقدمت الفيلم قليلًا، حتى جاء المشهد الذي أريده، كان مكتوبًا على الشاشة.

(هذا الفيلم مقتبسٌ عن قصة حقيقة حدثت في قرية (أبو حمص) عام ١٩٨٠م ، والأسماء المذكورة بالفيلم هي أسماء الأشخاص الحقيقيين).

وفي نهاية الفيلم بعض الصور لأصحاب القصة الحقيقيين، كان كل ما يهمني ويشغل بالي أن أعرف اسم الشيخ وبلده.

أخرجت دفترًا، أخذت منه قطعةً ثم كتبت عليها

الاسم: الشيخ محمد الهواري.

قرية: أبو بركة.

أشرت إلى عماد وقلت:

- هيا بنا.

- أين؟!

زفرت بضيقٍ قائلاً:

- هل نسيت؟ سنذهب للشيخ محمد الهواري.

ابتسم بسخريةٍ وقال:

- أنت تمزح صحيح! تريد أن نبحث عن رجلٍ في مدينةٍ كل ما تعرفه عنه هو اسمه، لقد تغلبتَ على من يبحث عن (إبرةٍ في كومةِ قشٍّ)، وما يدريك أنه مازال على قيد الحياة، فقد مرَّ على تاريخ هذا الفيلم ثلاثون عامًا.

قلت بغضب:

- هل لديك حلٌّ آخر؟ إن لم تأتِ معي سأذهب بمفردي.

استقللت سيارتي أنا وعماد وانطلقنا إلى المكان المنشود، كانت كلمات عماد تتردد في عقلي. "نبحث عن رجلٍ في مدينةٍ لا نعرف عنه إلَّا اسمه"، وماذا سأفعل لو وجدته قد مات؟ هل سأعود لهم وأواجه موت محتوم؟! أم سأظل هنا أتوارى خلف خوفي؟!

ولكن ضميري سيؤنبني لو لم أعد لهم.

قلت لنفسي: "دعني لا أستبق الأحداث، لعل الله يُحدث أمرًا".

وصلنا إلى المكان المطلوب وسألنا أحد المارة، فأخبرنا أنه ليس من سكان هذه المنطقة، وآخر قال: "لا أعرف أحدًا بهذا الاسم"، وثالث ردَّ بسرعةٍ قائلًا: "أنا أعرف منزل عائلةٍ تحمل هذا الاسم، سأرشدكم إليها".

وصف لنا العنوان، توجهنا إليه، وقابلنا شخصًا يُدعى (سعيد الهواري)، لم يفدنا بأي شيءٍ لا من قريب ولا من بعيد.

بحثنا وتجولنا في شوارع كثيرة، قابلنا أكثر من خمسة اسمهم (محمد الهواري)، ولكنهم ليسوا مَن نريد.

وقفت بالسيارة بجوار (سوبر ماركت)، ذهبت لكي أبتاع زجاجة مياهٍ معدنية، وأنا أنقد الرجل الأموال سألته: "هل تعرف شخصًا يُدعى الشيخ محمد الهواري؟".

قال صاحب (السوبر ماركت):

- ما عمله؟ أو ما اسم الشارع الذي يسكن به؟

- كل ما أعرفه هو اسمه.

أجاب وهو يضع كيسًا من الأرز لطفلةٍ في كيس:

– عائلة الهواري عائلةٌ كبيرة ولها أفرع كثيرة وأراهنك يا أستاذ.. (اسم الكريم إيه)؟

– آدم.

– أراهنك يا أستاذ آدم أنك إن لم تعلم مكان أو عمل الشخص الذي تريده لن تجده بسهولة، يوجد منزلٌ لعائلة الهواري في نهاية هذا الشارع، ولكن لم أسمع عن أحدٍ فيهم يُدعى الشيخ (محمد الهواري).

في ذاك الوقت هجمَ عليَّ عماد كأسدٍ يهجم على فريسته، لدرجة أنني خفت من اندفاعه، وأمسكني من يدي وجرني ولم يمهلني أن أكمل الحديث حتى مع صاحب السوبر ماركت وقال: – عرفت مكانه، عرفت مكانه.

انفرجت أساريري، فسرت معه، وعندما وصلت عند السيارة أشار عماد بيده لرجلٍ كبيرٍ في السن وقال:

– عم الحج هذا استوقفته وسألته، فأخبرني أنه يعرف الشيخ محمد الهواري ويعرف أيضًا القصة التي حدثت هنا منذ ثلاثون عامًا.

سألت الرجل العجوز بلهفةٍ:

– هل تعرف منزله.

– نعم يا بني، فالشيخ محمد كان جاري، ولكني بعت منزلي منذ أكثر

من عشر سنوات وانتقلت هنا.

وقفنا أمام منزل الشيخ محمد الهواري، كان منزلًا مبنيًا على الطراز القديم، مكونًا من ثلاث طوابق.

ضغطت على زر الجرس، فسمعت صوتًا أنثويًا من الداخل يقول:

- من بالخارج؟

- أنا.

سؤال غريب وإجابة أغرب، فهي إلى الآن لم تعلم من بالخارج، ولا أنا أيضًا أعلم من الذي ردَّ عليَّ، ولكن هو روتين الشعب المصري.

خرجت فتاةٌ غاية في الجمال، ذات عينين بنيتينِ وأنفٍ دقيقٍ، وشفاهٍ كما قال الكتاب، ترتدي عباءة سوداء قالت:

- ماذا تريد؟

- أريد الشيخ محمد الهواري.

فشردت قليلا ثم قالت بأسى:

- الشيخ محمد توفي منذ أكثر من عشرة سنوات.

كدت أن أقع مغشيًا عليَّ من وقع الرد، وتخشبنا أنا وعماد كمن ضربتهم صاعقة.

عندما رأت حالتنا علمت أننا كنا نريده في أمرٍ عظيم فقالت:

- هل كنتما تريدانه في شيء مهم؟

هنا تكلم عماد لأنني لم أفق من أثر الصدمة وقال:

- موضوع مهم جدًا، ولكن هل سنتحدث هنا بالخارج؟

فتلعثمت وقالت:

- تفضلا بالداخل.

بالداخل كانت والدتها تجلس تشاهد التلفاز. ألقينا عليها التحية وجلسنا.

دخلت الفتاة وأعدت لنا كوبين من الشاي وضعتهما أمامنا وجلست.

بدأت أنا بالكلام وشرحت لها كل ما حدث وأثناء حديثي عن شرقان بن معدن ترقرقت عينا الفتاة بالدموع.

أخرج عماد من جيبه منديلًا وأعطاها إياه وقال:

- ما يبكيكِ؟

كفكفت الدموع من عينيها وقالت:

- شرقان بن معدن هو من قتل أبي.

حدقت فيها بدهشة وقلت:

– كيف وأنا أعلم أن أباكِ كان معه ملك الجن أبو محرز الأحمر، وأعلم أيضًا أن شرقان يهابه، فكيف قتل أباكِ؟

تنهدت بعمقٍ وكأنها ستخرج أسرارًا من بئرٍ عميقٍ وقالت:

– عندما كبر أبي وصار العبء ثقيلًا عليه، وظنَّ أن أجله اقترب، قرر أن يورثني كل شيءٍ يملكه من خدمة الجن؛ لأني ابنته الوحيدة، ومنهم أيضًا أبو محرز الأحمر، وأقسم عليَّ أن أكمل طريقه في فعل الخير، ومساعدة المحتاجين، وأن أمنع شرور الجن عن البشر، وفي اليوم المحدد لم يكن في المنزل غيري أنا وأبي، دلفنا الغرفة المخصصة ثم أغلق الباب بإحكام. خلع من إصبعه هذا الخاتم، ووضعه في يدي وراح يقول التعاويذ والطلاسم التي جعلني أحفظها عن ظهر قلب؛ لإحضار ملك الجن: أبي محرز الأحمر. في تلك اللحظة ظهر ملك الجن، في البداية انتابتني رهبةٌ وارتعش جسدي ولكن نظرات أبي طمأنتني. أخبر أبي ملك الجن بأنني سأكون ملكة الخاتم؛ لأنه يشعر بدنو أجله. رأيت أمارات الحزن على وجه ملك الجن وكأن شيئًا يربطهم أكثر من الخاتم.

مسحت دمعةً هربت منها، ثم تنحنحت وأكملت:

– وبعدها بخمسة أيام كنت في مهمةٍ أنا وأبو محرز الأحمر، فاستغل شرقان بن معدن وجود أبي بمفرده في المنزل وقتله قتلةً بشعةً، ووجدنا

مكتوبًا على الجدار بدماء أبي (أنا شرقان بن معدن من يتحداني يمت).

ثم راحت تنتحب وتبكي كأنها كانت سحابةً مليئةً بالماء، تركناها حتى تمطر آخر قطرة، انتظرت حتى هدأت وقلت:

- إذًا أنتِ معنا.

سحبت نفسًا عميقًا حتى احمر وجهها، وقالت بكل غلٍ جارف:

- نعم، هذا الخبر سيسعد أبا محرز الأحمر، فهو يبحث عنه منذ أن قتل أبي ليفتك به.

- إذًا فكلنا طريقنا واحد.

كان صديقي عماد طيلة الجلسة يختلس النظرات للفتاة، يبدو أنه وقع في الحب، بطرف عيني لمحته ينظر إلى أصابع يدها يتفحصها هل بها خاتم أم لا؟

ننتهي من هذا الموضوع وإن شاء الله سأعمل (خاطبة) (ويا بخت من وفق راسين في الحلال).

أنا أعلم جيدًا عند أول مشكلة بينهم سيكيلون اللعنات لي.

برشفةٍ واحدةٍ من المسحوق كنَّا في أرض الجن أنا وعماد وياسمين، عندما رآنا الجد تهللت أساريره وعمت الفرحة باقي قبيلة الجن، فبالنسبة لهم أنا المنقذ.

وجهت كلامي للجد وقلت بكل ثقة:

- أرسل رسولًا لشرقان بن معدن وأخبره إن لم تعد زيتونة لمنزلها اليوم فغدًا ستبدأ المعركة بيننا وبينه، وأخبره أيضًا أنه بانتظاره الكثير من المفاجآت.

بإشارةٍ من رأس الجد -دون أن يتفوَّه- لأحد الحراس فهم معناها، ذهب ولم يتأخر ثواني ثم عاد وقال:

- شرقان بن معدن يقول: "زيتونة أصبحت ملكي، وسأتزوجها غدًا بعد أن أقضي عليكم".

ثم صوب الحارس نظره إليَّ وأردف:

- وأخبرني أن أقول لك: "هو أيضًا يخبئ لك مفاجأةً".

دب الرعب في قلبي، هل يعلم أني هنا؟ وماهي المفاجأة؟

أسئلة راحت تنهش في عقلي، ولكني أخذت قرارًا، وسوف أتحمل عواقبه؛ حتى ولو كانت وخيمة.

***

في منزل حبيبة آدم

كانت مستلقيةً في حوض الاستحمام، تأخذ حمامًا، بعد أن انتهت.

انتصبت واقفةً، فتساقطت قطرات المياه من جسدها كحبات اللؤلؤ التي تأبى أن تبتعد عن هذا القوام، خرجت من حوض الاستحمام والتقطت المنشفة، جففت وجهها وما إن رفعتها عن وجهها حتى رأت أبشع وجهٍ رأته في حياتها،

في البداية تجمدت مكانها وما إن استوعبت الموقف خرجت منها صرخةً كادت أن تمزق أحبالها الصوتية.

كان كيانًا قصيرًا أحدبًا بوجهِ ماعز، يعتليه قرنان مدببان، عيناه سوداوان، غزير الشعر في جسده بالكامل، يده بها ثلاث أصابع فقط.

عادت للخلف؛ فارتطمت بحوض الاستحمام، ثم سقطت فيه على ظهرها، خرجت عشرات الأيادي من داخل المياه بحوض الاستحمام مثل يد هذا الكيان وكبلوها في الماء، وراحت عشرات القرون تخترق جسدها من أسفل لأعلى حتى جعلتها كالمصفاة وامتزجت المياه بدمائها.

***

في منزل آدم

الأم تشاهد التلفاز، والطفلة تلعب، فجأة توقفت عن اللعب، وكادت عيناها أن تخرج من محجريهما، تريد أن تتكلم، أن تصرخ، ولكن حنجرتها تأبى من هول ما تراه، فهي طفلةٌ.

هذه الأشكال المخيفة تسمع عنها في القصص، تراها في أفلام الرعب، إنما أن تشاهدها رؤيا العين هذا كأنه أصابها بالشلل التام، تحاول أن ترفع يدها لتخبر أمها أن شيئًا ما وراءها، ولكن يدها لم تستجب أيضًا.

الأم مازالت تتابع المسلسل، لو نظرت لابنتها فقط ستصرخ من جحوظِ عينيها ومن احمرار وجهها.

انقضَّ هذا الكيان على الأم، وفصلَ رقبتها عن جسدها، فخرج بركانٌ من الدماء لوث الكرسي الجالسة عليه، وملابسها، وحتى الأرضية.

ما إن رأت الصغيرة هذا لم تتحمل، وسقطت مغشيًا عليها، فحملها الكيان القاتل وفر.

في ساحة المعركة

صحراء مترامية الأطراف اجتمع فيها الجيشان

شرقان بن معدن وجيشه الجرار ومعهم زيتونة مقيدة فوق أحد الخيل، وفي الناحية الأخرى أنا والجد وعماد وياسمين وجنودنا القليلون.

عندما نظر إليهم شرقان بن معدن من فوق جواده الذي يملك رأسين، قهقه حتى ظنوا أن الأرض اهتزت من تحتهم وقال باستعلاءٍ وتكبر:

- أخبرني رسولكم أن عندكم مفاجآت لي، وها أنا أنتظر لأرى أين هي، أنا لا أرى إلّا حثالة قليلة سأسحقها بعد قليل.

لم أترك المجال لأحدٍ يتكلم، فتقدمت وكقائدٍ حربي محنك قلت:

- نعم، عندنا مفاجأة لك ستجعلك تتألم، مفاجأة جعلتك ترى نصف الأشياء فقط.

ضحك شرقان بن معدن بسخريةٍ وقال:

- إنسي هنا ويتكلم بالألغاز!

ثم تابع:

- عندي لك أخبار سارة أيها الإنسي، ثم صرخ بصوت عالٍ يا صهر.

فتقدم كيان أشبه بالماعز، وقف بجواره ومعه جوال، وأكمل:

- هل تعلم أين كان صهر قبل أن يأتي إلى هنا؟

كان في زيارةٍ لمنزل حبيبتك، ووالدتك، لقد قتلهم، وهنا في هذا الجوال شخصٌ عزيزٌ عليك جدًا، وأمر صهر أن يفتح الجوال، فظهرت أختي، تريد أن تصرخ ولكنها مكممة الفم.

صُعقت ووقفت مذهولًا، ثار الدم في عروقي، كانت كلماته كالرماح المسمومة التي تخترق قلبي وجسدي، لقد قتل أمي، لا أهتم بقتل صفاء لأنها خائنة والخائن جزاؤه الموت، ولكن أمي لماذا؟ أمي لم تؤذ أحدا! أمي ليست طرفًا في هذا الصراع، أمي كانت أحن أم في الكون.

فكرت مع نفسي، أن قرار الاستسلام قد يضيع أختي وزيتونة، وهذه القبيلة المسالمة أيضًا؛ لأني لا آمن شر شرقان بن معدن.

أقسمت أن أنتقم لكِ يا أمي من هذ الخنزير الوضيع، سأجعله يتمنى الموت مئة مرة قبل أن يموت.

في هذا الوقت كانت ياسمين قد قاربت على استحضار أبي محرز الأحمر، أخبرتني بمفاجأتك والحقيقة آلمتني كثيرًا، والآن حان وقت أن

أخبرك بمفاجأتي، لقد حضر هنا شخصٌ عزيزٌ عليك، يريد أن يراك منذ زمنٍ، لقد أخذت منه شيئًا عزيزًا عليه، وهو أيضًا أخذ شيئًا عزيزًا عليك.

هنا ظهر أبو محرز الأحمر وجيشه، كان له حضورٌ طاغيٍ، أول ما رأى شرقان بن معدن انتشى وكأنه كان يبحث عن شيءٍ فقدهٍ ووجده الآن.

رأيت الخوف تسلل إلى شرقان بن معدن وجنوده، وتغيرت ملامح وجهة، وكان هذا هو أول مكسب لنا.

لم يمهل أبو محرز الأحمر شرقان بن معدن فرصة للكلام، انقضَّ عليه كما ينقضُّ أسد على ضبعٍ خسيس.

بدأت الحرب، هجم جيشنا وجيش أبو محرز الأحمر على جيش شرقان بن معدن.

وجود جيش أبي محرز الأحمر أربكهم، كان جيشًا قويًا يحارب بكل جسارةٍ، يهاجم بكل قوةٍ، كان عماد وياسمين يحاربان بجوار بعضهم البعض، لم أعلم كيف ولا متى تدرب عماد على حمل السلاح في الحرب، ولكنه كان يحارب بكل شجاعة.

تغلغلت أنا لجيش شرقان بن معدن، وقتلت ثلاثة من أتباعه، وأخذت أختي وأبعدتها عن مكان القتال، ثم تسللت وفككت قيد زيتونة التي ما إن فككت قيدها حتى أخذت سيفًا كان ملقىً بجوار جثة

من أتباعنا وطاحت في كل من قابلته من جيش الأعداء قتلًا وذبحًا.

أثناء محاربة ياسمين لأحد الجن، جاء آخر من خلفها، ورفع السيف وكاد أن يطعنها، في اللحظة الأخيرة ظهر عماد وضرب بسيفه سيف الجن، فطار، وغرز عماد السيف في عنق الجن، فخر صريعًا، ثم نظرت ياسمين لعماد وشكرته بابتسامة، وعادت تحارب وتمزق وتشج الرؤوس، ولما لا فقد حان الوقت الذي تنتقم فيه لأبيها.

رأيت زيتونة اشتبكت مع ثلاثة من الجن، كادوا أن يتغلبوا عليها، فهرعت إليها كدعم، ناولت أحدهم لكمةً في وجهه بيدي اليسرى، وباليمنى بقرت بطنهً بالسيف، غرزت زيتونة أظافرها في وجه الثاني، فرفع السيف؛ لكي يضربها به، ولكنها كانت قد سبقته بضربةٍ من سيفها فقطعت يده، ثم طعنته في بطنه، أما الثالث جاءته ضربة في رأسه بسيف من أحد جنودنا من الخلف.

بعد أن قضينا على كل جنود الأعداء، لم يتبقَّ سوى شرقان بن معدن الذي كان ممتطيًا حصانه ذا الرأسين، ولكنه كان برأس واحدة، والأخرى رقبة فقط يتساقط منها الدماء، يبدو أن أبا محرز قطعها،

كانا يتنافسان بالرغم من قوة أبي محرز إلَّا أنا شرقان بن معدن كان قويًا أيضًا.

هوى أبو محرز بسيفة على رأس الحصان الأخرى فسقطت تتدحرج

على الأرض.

كنَّا نسمع اللكمات؛ وكأن جبلين يتصارعان، والسيفان عندما يلتقيان تشعر وكأن الرعد والبرق يتبارزان، دارت حرب ضروس بينهما، لم يكن شرقان بن معدن بالفريسة السهلة، ولكن في النهاية بعد معركةٍ قاسية، وضربات وصفعات وطعنات تفوَّق عليه أبو محرز الأحمر وفقأ عينه الثانية.

ركع شرقان بن معدن على الأرض، وعينه يسقط منها الدماء على وجهه، يتوسل لأبو محرز ألَّا يقتله.

فقال له أبو محرز بتشفٍّ:

- وهل رحمت الشيخ محمد قبل أن تقتله.

وغرس أبو محرز السيف في قلب شرقان بن معدن بقوة، ثم ركله بقدمه ليسقط على الأرض وهو يتلوى حتى أصبح جثةً هامدة.

بعد أن انتهت المعركة شكرنا جميعًا أبا محرز الأحمر الذي بدت البهجة على ملامحة؛ لانتصاره على شرقان بن عدن من صميم قلوبنا. فلولاه ما كانت الغلبة لنا، وأخبرنا من دوره أنه كان ينتظر هذه اللحظة؛ لينتقم للشيخ محمد ويريح جميع البشر من شر شرقان بن معدن.

رحل أبو محرز الأحمر، فعدت أنا والجد وزيتونة وعماد وياسمين

مسرورين فرحين منتصرين وتركنا باقي الجنود يجمعون الغنائم.

صارحتُ ياسمين بأن عماد يهيم بها عشقًا منذ أن رآها أول مرة؛ فأخبرتني أنها كانت تبادله نفس المشاعر.

شعورٌ جميل أن تجمع بين شخصين يحبان بعضهم البعض، باقي دوري فلقد فكرت كثيرًا قبل أن أقدم على هذه الخطوة، لا أعلم هل هي صواب أم خطأ؟ لا أعلم توابعها؟

الأمر الوحيد الذي أعرفه، أنني عندما أنظر إلى عينيها أنسى نفسي ودنيتي وأشعر وكأني بداخل عالمٍ آخر.

ولا أعلم أيضًا هل ستوافق زيتونة على زواجي منها أم لا؟

المهم أنني عزمت الأمر، وأخبرتها؛ فأنار وجهها مثل القمر أمسكت يديها، كانت لينة، ووضعتها على كتفي، وأسندت يديَّ على خصرها، واقتربت منها، كانت شفتاي في مرمى شفتيها.

كنت أشعر وكأن مغناطيسًا يجرني إليها، قبل أن تلمس الشفاه بعضها وجدت من يلكزني من الخلف بعصبيةٍ.

– آدم... آدم.... أدم...

استيقظ لقد أحضرت أمي الإفطار.

***

شكر خاص

أستاذ عماد الدريني